



# ممشكوك

## مسرح العرائس







# مسرح العرائس أو الكسيح

تأليف : الفريد هتشكوك  
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

المركز العربي للنشر والتوزيع  
معروف اخوان

الأسكندرية ت ٨١٠٨٢٨  
القاهرة ت ٧٤٣٦١١



## جريمة فى الريف

كان سير هنرى كليثنتج ، الموظف الكبير السابق بإدارة إسكوتلانديارد يقضى كعادته أخيراً منذ إحالته إلى المعاش بضعة أيام فى ضيافة صديقة الكولونل بانترى وزوجته ، ويقع بيتهما على مشارف قرية سنت مارى ميد . وقد هبط الدرج على مهل فى الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ، وكاد يصطدم على عتبة باب غرفة الطعام بمسز بانترى . وكانت السيدة الكريمة مندفعة خارج الغرفة ، وهى فى حالة كبيرة من الإضطراب والإنفعال على غير عادتها ومبادئها وعندما دخل سير هنرى كان الكولونل جالساً أمام المائدة وقد إحتقن وجهه أكثر من العادة ، ولكن صوته كان يشوبه الود كالعهد به دائماً ، وهو يحيى صديقه الحميم وخاطبه قائلاً :

- صباح الخير يا كليثنتج .. صباح الخير .. الجو جميل اليوم ..  
إجلس يا صديقى وتفضل .

جلس سير هنرى بعد أن رد التحية . وبينما كان يتناول طبقاً من الطعام ويضعه أمامه إستطرد مضيفه يقول :

- إن دوللى شديدة الإضطراب اليوم .

سعل سير هنرى وقال فى لباقة نعم إننى أدركت ذلك .  
ولكنه كان فى دهشة مع ذلك ، فإن مضيافته كانت معروفة بالهدوء  
والإتزان ، لا يملكها الغضب والإنفعال بسهولة . ثم إنه كان يعرف حق  
المعرفة إنها لا تتحمس أبداً لشيء فيما عدا البستنة .  
عاد الكولونل يقول : إنها شديدة الاضطراب حقاً ، فقد سمعنا  
الآن خبراً هزها جداً .. فإن إحدى فتيات القرية ، وهى ابنة ايموت ،  
صاحب حانة « الخنزير الأزرق » .. إنك تعرفه ؟ ..

- آه ، نعم .

- حسناً .. إن ابنته ، وهى فتاة جميلة طبعاً ( وكان الكولونل  
بانترى يبدو منزعجاً هو الآخر ) .. نعم ، كنت أقول إن هذه الفتاة زجت  
بنفسها فى موقف حرج .. نعم ، حقاً .. إنها القصة الخالدة ..  
تناقشت فيها مع دوالى وليتنى ما فعلت ، فإن النساء يفقدون عقولهن  
فى هذا المجال .

فقد تحزبت دوالى لتلك الفتاة ، وقالت إن الرجال ذئاب الخ ..  
الخ .. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة خصوصاً فى أيامنا هذه ، فإن  
الفتيات يعرفن تماماً ما يفعلن وما يخاطرن به . والرجال الذين يلعبون  
بعقولهن ليسوا أوغاداً وبلا ضمير بالضرورة . ومن رأى أن الشاب  
والفتاة متساويان فى المسئولية فى هذه الناحية .. وأنا أعرف الشاب  
ساندفورد .. إنه شاب أحقق ليس من هذا النوع الذى يجرى خلف  
النساء .. إذا فهمت ما أعنيه .

– هل هو الذى زج بهذه الفتاة فى هذه الورطة ؟

– يبدو ذلك .

وأسرع الكولونل يقول فى حذر :

– أنا نفسى لا أعرف شيئاً طبعاً ، ولكن هذا ما يقال فى القرية ، وأنت تعرف أن القيل والقال والشائعات التى تدور فى القرية تطير فوق أجنحة الريح .. وأنا لا أعرف شيئاً أكيداً كما قلت لك .. ولا أقفز إلى النتائج على الفور ، ولا ألقى التهم جزافاً كما تفعل دولى .. والحق أن الرجال يجب أن يتوخوا الحذر ، وأن لا يتكلموا فى هذه المواضع خبط عشواء .. وأنت تعرف ما سوف يجرى أكثر من أى شخص آخر .. أعنى التحقيق وكل الإجراءات التى تتعلق به .

– التحقيق .

نظر الكولونل إلى صديقه مليا ثم قال :

– ألم أقل لك ؟ .. إن الفتاة إنتحرت بأن ألقت بنفسها فى النهر .. وهذا هو السبب فى كل هذه الضجة ..

هز سير هنرى رأسه وقال :

– إنها قصة قذرة .

– قصة قذرة طبعاً ، وأفضل أن لا أفكر فيها .. يا للفتاة المسكينة الساذجة !

إن أباها قاس جداً ، وأظن أنها لم تجد من نفسها الشجاعة لمواجهة غضبه .

وسكت لحظة قبل أن يختتم قائلاً : وهذا هو ما أثار إنفعال دولي .  
- أين غرقت ؟

- في النهر ، بعد الطاحونة مباشرة ، حيث التيار شديد دائماً  
هناك ممر يؤدي إلى الماء وإلى الجسر والمفروض أنها ألقت بنفسها من  
فوقه . والواقع أنني أؤثر أن لا أفكر في هذا الأمر .  
ولكى يبعد الكولونل هذه الحادثة البغيضة عن ذهنه نشر صحيفته ،  
وشرع يقرأ الأخبار المحلية .

ولكن المأساة القروية لم تحدث تأثيراً كبيراً في سير هنري ، وعندما  
فرغ من تناول طعامه مضى إلى الشرفة ، واضطجع في مقعد مريح ،  
وأرخص قبعته فوق عينيه ، وغرق في أوهامه الهادئة .  
وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف عندما إقتربت منه  
الخادمة وقالت في هدوء :

- معذرة ياسيدي ، لقد جاءت مس ماريل ، وهي تريد أن تتحدث  
إليك .

- مس ماريل ؟

إعتدل سير هنري في جلسته ، وأزاح القبعة عن عينيه شيئاً ما ،  
فقد فاجأه الاسم . كان يذكر مس ماريل جيداً ، ويذكر طباعها  
الظريفة كعانس هادئة ، ذات ذكاء خارق ، ونظر ثاقب . وتذكر نحو  
إثنتي عشرة قضية إستغلقت على الخبراء المختصين إستطاعت هذه  
العانس العجوز أن تفك طلاسمها ، وتصل إلى مفاتها الحقيقة .



وكان سير هنرى يحس من نحوها بإحترام كبير ، ومضى إلى البيت فى خطوات واسعة وهو يتسائل عن السبب الذى دفعها إلى المجيء لزيارته .

كانت مس ماريل جالسة فى الصالون ، معتدلة القامة كعادتها دائماً ، ويجوارها سلة جميلة زاهية الألوان ، لا ريب أنها إشترتها من الخارج لكى تضع فيها حاجيات البيت ، وكانت تبدو على شيء من الإضطراب ، وقد توردت وجنتاها لفرط إنفعالها . وما أن دخل سير هنرى كليثنج حتى بادرت قائلة :

- يسرنى جداً أن أراك يا سير هنرى .. سمعت الآن فقط إنك مقيم هنا عند صديقك .. وأرجو أن تلتمس لى العذر ..  
قاطعها سير هنرى وهو ينحنى فى إحترام فوق اليد التى بسطتها له :

- ولم الاعتذار ؟ .. إننى على العكس مسرور برؤيتك .. ولكننى أخشى أن تكون مسر بانترى قد خرجت .

- أعرف أنها خرجت .. وقد رأيتها تتحدث مع فوتيت الجزار وأنا فى طريقى إلى هنا ، وكان هنرى فوتيت شديد الإنزعاج بسبب كلبه .. وهو كلب مشاكس ولا أدري لماذا يحب الجزارون هذا النوع من الكلاب .

قال سير هنرى فى رفق :

- إننى لاحظت ذلك حقاً .

وإستطردت مس ماريل تقول :

- يسرنى إننى أتيت وهى بالخارج ، لأننى أردت أن أراك أنت ..  
بسبب هذه القصة المحزنة .

سألها سير هنرى فى شىء من الحيرة :

- بسبب هنرى فوتيت ؟

أقلت مس ماريل إليه نظرة حافلة باللوم والعتاب وقالت :

- كلا ، كلا .. إنما كنت أشير إلى روز أيموت طبعاً .. هل علمت

بما جرى لها ؟

أحنى سير هنرى رأسه وقال :

- لقد أخبرنى بانترى بما جرى .. إنها قصة محزنة جداً فى

الواقع .

كان يشعر بالحيرة شيئاً ما ، فهو لم يفهم لماذا أقبلت مس ماريل

لزيارته بخصوص روز أيموت .

وإضطجعت مس ماريل فى مقعدها ، وكان سير هنرى قد بقى

واقفاً حتى هذه اللحظة ، فجلس على كنب منها . وعندما إستأنفت

العانس الحديث قالت فى صوت جدى :

- لعلك تذكر ياسير هنرى إننا قمنا هنا أكثر من مرة بتلك اللعبة

التي كانت تطربنا كثيراً ، وهى إن أحدنا كان يعرض قضية غامضة ،

ثم نحاول الإهتمام إلى مفتاحها . وقد كنت أنت كريماً معى ، وشهدت

بأنه لا بأس بى فى هذا المجال .

صاح سير هنرى فى حماس :

- بل إنك تفوقت علينا ، وأبديت ذكاءً كبيراً ، بحيث إهتديت إلى الكشف عن أسرارها دوننا جميعاً . وأتذكر إنك كنت تذكرين في كل مناسبة قصة مشابهة ، تقولين إن أحداثها وقعت في القرية ، وإنها هي التي هدتك إلى الحقيقة .

وكان يبتسم وهو يتكلم ، ولكن مس ماربل ظلت جامدة الأسارير وهي تقول :

- إن قولك هذا هو الذي شجعني على المجيء لمقابلتك اليوم . وإنني أعلم إنني إذا قلت لك شيئاً .. حسناً .. أنت على الأقل لن تهزأ بي .  
قال في رفق :- لن يحدث هذا أبداً طبعاً .

- سير هنري .. إن هذه الفتاة .. روزايموت .. لم تلق نفسها في النهر . وإنما قتلت .. وأعرف من الذي قتلها ..

لزم سير هنري الصمت وقد إستبد به الذهول ثلاث ثوان ، وكانت مس ماربل قد تكلمت بكل هدوء ، كما لو كانت قد نطقت بشيء طبيعي تماماً . وصاح يقول عندما أفاق من ذهوله :

- ولكنك تقولين شيئاً خطيراً ..

أحنت رأسها مرارا احناة خفيفة وقالت :

- إنني أعرف .. أعرف ذلك .. ولهذا أتيت لمقابلتك .

- هذه مكرمة منك . ولكن ليس أنا الذي يجب أن تقابليه يا أنستي



العزيزة ، فقد أصبحت اليوم مواطناً عادياً . يجب أن تذهبي إلى  
البوايس وإن تطلعيهم على ما تعرفين .

أجابت مس ماريل : - لا أظن إننى أستطيع أن أفعل ذلك .  
- لماذا ؟

- لأنه ليس لدى .. ماذا أقول ! .. نعم أليس لدى أى يقين .  
- تعنين أن لديك أحساساً بآنك تعرفين القاتل ؟

- يمكنك أن تقول ذلك إذا شئت . ولكن الأمر ليس كذلك فى  
الواقع .. إننى أعرف ذلك فحسب ، ولكننى لو ذكرت للمفتش درويث  
الأسباب التى حملتنى على معرفته فإنه سوف يضحك فى وجهى على  
الفور ساخراً وإذا أردت الحق فإننى لن أستطيع لومه . فإن من  
المستحيل أن يدرك ما يمكن تسميته بالمعرفة المتخصصة سألها سير  
هنرى وقد أطربه الأمر على الرغم منه :

- مثال ذلك : - لو قلت لك إننى أعرف ذلك بسبب رجل يدعى  
بيزجود باع لابنة أختى لفتاً على أنه جزر منذ بضع سنوات ..

وسكنت ، وخيم صمت بليغ ، فقال سير هنرى فى تفكير وهو ينظر  
إلى مس ماريل فى إهتمام :

- أتعنين إنك تحكمين على الناس إستناداً على مثل هذا الموقف ؟ .  
اعترفت مس ماريل قائلة .

- ذلك إننى أعرف الطبيعة البشرية ، ولا يمكن أن تفعل غير ذلك  
إذا أنت أقمت فى القرية مدة طويلة . والمهم هو أن أعرف هل تصدقنى  
أم لا .

وحدقت فيه مباشرة فى هدوء ومن غير أن تطرف . ولكن وجنتيها  
توردتا أكثر من العادة وكان هذا كل شيء ..

وكان سير هنرى رجلاً خبير الحياة طويلاً ، وكان سريعاً دائماً فى  
إتخاذ قراراته دون أى تردد . ومع ان رد مس ماربل كان غريباً وغير  
معقول فقد عرف أنه يتقبله كما هو فقال فى صوت قوى :

- إننى أصدقك ، ولكننى لا أدرى ما دخل فى كل هذا ، ولماذا  
تلجئى إلى ؟

- إننى فكرت فى الأمر ملياً ياسير هنرى ، من رأى أنه لن يكون  
هناك أى داع لكى أذهب إلى البوليس بدون حقائق معينة . وليس لدى  
منها أى شيء . ولكننى قصدتك لكى تهتم بالقضية أنت نفسك . وأنا  
واثقة أن المفتش درويت سيسره ذلك طبعاً ، وإذا تقدم التحقيق وثبت  
لهم أن روزايموت لم تنتحر ، وإنما قتلت ، فإن الكولونل ملشيت ، مدير  
البوليس ، سيكون عجينة لينة بين يديك .

ونظرت مس ماربل إليه فى شبه توسل فقال سير هنرى : وما هى  
العناصر التى أتيتينى بها لكى تسمح لى بالعمل على الأساس الذى  
تقولين ؟

- كنت أنوى أن أكتب لك أسماً .. إسم القاتل ، على ورقة ، وإن أعطيك اياها ، وإذا رأيت أثناء التحقيق أن صاحب هذا الإسم لا دخل له فيما حدث فسيكون فى ذلك الدليل على إننى أخطأت .

وسكنت لحظة ، ثم أردفت وهى ترتجف :

- إنه لأمر فظيع .. فظيع جداً .. لو أن بريئاً شئق ..

أجفل سير هنرى وقال :

- ولماذا بحق السماء ؟

رفعت مس ماربل إليه وجها قلقاً وقالت :

- ربما أكون مخطئة .. وإن كنت لا أظن ذلك . إن المفتش درويت

رجل ذكى حقاً ، ولكن أصحاب الذكاء المحدود شديداً خطراً أحياناً ، فهم لا يواجهون الأمور كما يجب ..

نظر سير هنرى إليها فى فضول .

وفتحت مس ماربل حقيبتها اليدوية بيد مضطربة ، وأخرجت منها

دفترًا صغيراً ، إنتزعت منه ورقة سطرت عليها أسما فى عناية تامة ،

ثم طوت الورقة مرتين وناولتها لسير هنرى .

وسارع هذا الأخير ففتحها وقرأ الأسم ، ولكنه لم يستدل منه على

شئ . غير أنه رفع حاجبيه شيئاً ما مندهشاً ، ثم ألقى نظرة إلى مس

ماربل ، وطوى الورقة ووضعها فى جيب صدیره وتمتم :



- حسن جداً .. حسن جداً .. ولكن يبدو لى انها قصة غريبة لم  
أسمع بمثها من قبل .

إجتمع سير هنرى والكولونل ملشيت والمفتش درويت فى قسم  
البوليس بقرية سنت مارى ميد .

كان الكولونل ملشيت مدير البوليس . رجلا قصير القامة ، عسكرى  
الهيئة إلى حد بعيد . فى حين كان المفتش درويت طويل القامة بدين  
الجسم حسن الإدراك

وقال سير هنرى كليثنج وعلى وجهه إبتسامته المتألقة لا أدرى حقا  
لماذا أزعج بأصبعى فى هذه القضية ولا أدرى أبدا لماذا أهتم بها ؟  
قال الكولونل : - يسرنا أن تعمل معنا يا صديقى العزيز .. ان  
هذا شرف كبير لنا .

وقال دروين بدوره : - هذا شرف كبير لنا حقا يا سير هنرى .  
ولكن مدير البوليس كان يحدث نفسه قائلاً ان الرجل المسكين يكاد  
يموت سائماً فى بيت آللى بانتري ، بين الكولونل العجوز الذى يقضى  
كل وقته فى التذمر ضد الحكومة ، وبين زوجته الثرثرة التى لا تكف عن  
الحديث .

أما المفتش درويت فقد ندم على أنه لا يواجه مشكلة عويصة ، وعلى  
أن الحظ إذا كان قد ساعده وأرسل إليه واحداً من أكبر عقول إنجلترا  
كما سمع فإنه يستطيع أن يقدم له إلا هذه القضية البسيطة .

وقال مدير البوليس بصوت مسموع معبراً عن ندم المفتش :

- ولكننى أخشى أن تكون قضية عادية ليس فيها جديد ، فقد حسبنا أول كل شيء أن تلك الفتاة إنتحرت ، فقد كانت تنتظر مولوداً ، ولكن طبيبنا الدكتور هايدوك رجل دقيق جداً ، وقد لاحظ على كتفها كدمات تدل على أنها حدثت قبل الموت مباشرة ، كما لو أن أحدا أمسكها من كتفها فى قوة لكى يلقى بها فى النهر .

- هل كان ذلك يستدعى قوة كبيرة ؟

- لا أظن ذلك . لم يكن هناك أية مقاومة ، ولم تكن الفتاة تتوقع ذلك بكل تأكيد . كانت تجتاز جسرا من الخشب لا حواجز له ، وليس أسهل من دفع أى شخص إلى النهر من فوقه بغتة .

- هل أنت واثق إن المأساة وقعت هناك ؟

- نعم . وقد وجدنا غلاماً فى الثانية عشرة من عمره يدعى جيمى براون كان واقفاً فى الغابة ، فى الناحية الأخرى من الشاطئ ، وقد خيل له أنه سمع صرخة حادة ، أعقبها صوت سقوط جسم فى الماء . وكان الظلام قد هبط بحيث أصبح من العسير تمييز أى شيء . ومع ذلك فإن الغلام استطاع أن يرى شيئاً يطفو على سطح الماء ، فأسرع لكى يطلب النجدة . وتمكنوا من إنتشال الفتاة ، ولكنها بعد أن أصبحت جثة هامة .

من سير هنرى رأسه وقال :

- ألم ير الغلام أى شخص آخر فوق الجسر ؟

- كان الظلام قد خيم كما قلت لك . ثم أن الجو كان مشبعاً بالضباب فوق النهر وتحت الأشجار فى تلك الناحية . وقد استجوبته لى أعلم ان كان قد رأى أحداً فوق الجسر قبل الحادث أو بعده . ولكنه أكد لى عن هذه النقطة إنه لم ير أحداً .. ومهما يكن فقد إقتنع لأول وهلة كما إقتنع الجميع بأنها إنتحرت بأن ألقت بنفسها فى الماء .

وقال درويث وهو يتحول نحو سير هنرى :

- وقد حسبنا أنها إنتحرت حتى اللحظة التى عثرنا فيها على

الورقة .

وقال الكولونل ملشيت :

- نعم . وقد عثرنا عليها فى جيب الفتاة . كانت مكتوبة بقلم رصاص من النوع السميك الذى يستعمله الفنانون ، وكانت مبتلة جداً ولكننا تمكنا من قراءتها على الرغم من ذلك .

- وماذا كان نصها ؟

أوه ، كانت رسالة قصيرة جداً جاء بها : لا بأس سألتقى بك فوق الجسر فى الثامنة والنصف مساءً .. وكان موقعاً عليها بحرفى ر . س ، وهما الحرفان الأولان من إسم ساندفورد الشاب . وقد سمع



الغلام الصرخة وصوت سقوط الجسم فى الماء بعد الثامنة والنصف بقليل .

تدخل الكولونل ملشيت فقال : - هل سبق لك أن رأيت هذا المدعو ساندفورد . إنه عاد هنا منذ نحو شهر ، وهو واحد من المهندسين الشبان الذين تخرجوا فى المدرسة الحديثة وهو يشيد بيتاً لآل النجتون ، والده وحده يعلم كيف سيكون شكله ولا كيف سيكون مفروشاً .. منضدة كبيرة فى غرفة الطعام عليها بللورة ، وحولها مقاعد من الصلب مكسوة قواعدها بالجلد .. حسنا ، ذلك لا يعيننى على كل حال ، ولكنه يرينا النوع الذى ينتمى إليه هذا المدعو ساندفورد إنه شاب ثورى لا خلق له ولا أخلاق .

قال سير هنرى فى لهجة حاملة : - ان الغواية جريمة قديمة وإن كانت لا تصل فى مستواها إلى جريمة القتل .

نظر الكولونل ملشيت مليا إلى صديقه وقال : - تماماً ... تماماً ... وتكلم المفتش عندئذ فقال : - من رأى يا سير هنرى أنها قصة بغیضة جداً ، ولكنها على الرغم من ذلك بسيطة جداً . لقد زج الشاب ساندفورد بالفتاة فى موقف عسير بحيث حملت منه ، وهو مخطوب لفتاه أخرى فى لندن لو إنها علمت بما جرى لإنهارة مشاريعه تماماً . ولهذا تواعد مع روز لى يلتقى بها فوق الجسر ، ثم فأجاها من

الخلف ، وألقى بها إلى النهر . إنه وغد كبير يستحق ما سوف يقع له ..  
هذا هو رأيى فى هذه القضية .

لزم سير هنرى الصمت دقيقة أو دقيقتين . أحس منذ البداية أن  
هناك تحيزاً ضد الشاب وضد آرائه التقدمية ، ولا عجب فإن أى شاب  
مجدد لا يمكن أن يجد شعبية ما فى قرية محافظة كقرية سنت مارى  
ميد . وقال أخيراً : - أظن أنه ليس هناك أى شك فى أن ساندفورد هو  
أبو الطفل الذى كان يجب أن يولد .

أجاب دروييت :

- لا شك على الإطلاق ، لم تكن روز تخفى ذلك على كل حال ،  
وأبوها نفسه كان يجهر بذلك ، فقد كانت تعتقد أنه سيتزوجها ...  
هاها ... يتزوجها ... هو ؟

راح سير هنرى يفكر وهو يستمع إلى المفتش الشهم ويقول لنفسه :  
- يا إلهى ! .. يخيّل لى أننى وقعت فى قلب مأساة فيكتورية ..  
الفتاة الجاهلة والشاب الشرير القادم من لندن والأب المهان فى شرفه .  
ولا يبق لكى تكمل القصة إلا العاشق القروى الوفى المخلص إلى أبعد  
حدود الوفاء والإخلاص . حسناً يبدو أنه قد حان الوقت لكى أختتم به .  
وتكلم فى صوت مسموع فقال : - ألم يكن لهذه الفتاة شاب من  
أهل القرية يوليها إهتماماً خاصاً ؟ ...

أجاب المفتش : - هل تعنى جو ايليس ؟؟ ... إنه شاب طيب ...  
مهنته نجار ... آه ... لو إنها تعلق بـجو هذا .

ووافقه الكولونل ملشيت على ذلك بأن قال فى لهجة خشنة :

- لا يجب أن ينظر أحد إلى طبقة أعلى من طبقاته .

وسألها سير هنرى :

- وكيف قابل جو أيليس هذا الموقف من حيييته ؟

أجاب المفتش :

- مامن أحد يدرى ، فإن جو شاب هادئ ، كتوم ، وكل ما كانت

تفعله روز كان جميلاً فى عينيهِ ، كان مفتوناً بها إلى درجة كبيرة ،

واقصر بوره على الأمل والرجاء فى أن تعود إليه ذات يوم .

قال سير هنرى : - أحب أن أراه .

قال الكولونل ملشيت وهو ينهض :

- ما أسهل هذا ، سنذهب لاستجوابه ، فلا يجب أن نهمل شيئاً .

وكنْتُ أظن أنا نفسى أننا نستطيع أن نستجوب ايموت أولاً ، ثم

ساندفورد ، واخيراً أيليس ، فهل يناسبك هذا يا كليثننج ؟

أجاب سير هنرى بأنه يوافقه على هذا تماماً .

وجدوا توم ايموت فى حانة الخنزير الأزرق كان طويل القامة ، مكتنز

الجسم فى الخمسين من عمره ، بهيمى الوجه متهرب العينين ، قال :



- يسرنى أن أراكم أيها السادة . صباح الخير يا كولونل ، تفضلوا  
هنا لن يزعجنا أحد هنا . هل أستطيع أن أقدم لكم شيئاً أيها السادة ؟  
كلا ، كما تشاءون . هل أتيتم بسبب أبنيتى المسكينة روز .. ؟ كانت فتاة  
طيبة دائماً ، حتى جاء هذا الخنزير . معذرة ولكن ذلك الشاب لا يمكن  
أن يكون إلا خنزيراً حسناً .. كنت أقول إنها كانت فتاة طيبة حتى  
جاء هذا الشاب .. وكان قد وعدها بالزواج .. ولكننى ساقاضيه ألقى  
بأبنيتى المسكينة فى النهر هكذا هذا الخنزير القاتل إنه وسم اسرتنا  
بالعار .. يا لأبنيتى المسكينة .

سأله ملشيت فى لهجة حادة : - هل قالت لك إبنتك صراحة إن  
مستر ساندفورد هو المسئول عن حالتها ؟

- نعم .. وفى هذه الغرفة بالذات .

سأله سير هنرى فى رفق : - وماذا قلت لها ؟

- لإبنيتى ؟

- نعم ، ألم تهددها بأن تطردها من البيت مثلاً ؟

- لقد هزنى النبأ فى بادئ الأمر ، وهذا أمر عادى ، أليس كذلك ؟

وأنا واثق إنك متفق معى فى هذه النقطة . ولكننى لم أهدها بالطرد  
من البيت كلا بكل تأكيد وما كنت لأفعل شيئاً كهذا أبداً ( وتظاهر  
بالسخط الشديد ) كلا . لم أزد عن أنى قلت لها إنه يجب أن يصلح ما

فعل ، وإلا فسيكون له شأن معى ومع القضاء ، يا إلهى .. أننى قلت إنه لا بد أن يدفع إذا لم يكن ينوى أن يصلح ما فعل .

وهوى بيده الضخمة فوق المنضدة وسأله مدير البوليس :

— متى رأيت إبنتك لآخر مرة ؟

— أمس فى ساعة الشاى .

— كيف بدت لك عندئذ ؟

— حسناً . كعادتها . لم إلحظ شيئاً . لو كنت أعلم . قال المفتش

فى حدة :

— ولكنك لم تكن تعلم .

ومن غير كلمة أخرى نهض الرجال الثلاثة مرة واحدة وقال سير

هنرى فى تفكير وهم يسرون فى الشارع فى صمت :

— إننى لا أشعر بأى إرتياح لهذا المدعو أيموت .

— إنه وغد ، وما كان ليتردد عن تهديد ساندفورد وإبتزاز ماله ، لو

أنه وجد الفرصة لذلك .

وكانت زيارتهما الثانية للمهندس الشاب . ولم يكن ركس ساندفورد

يشبه أبداً الصورة التى رسمها سير هنرى عنه ، فقد كان شاباً وسيماً

طويل القامة . نحيل الجسم . عينان زرقاوان حالمتان ، وشعر مشعث

طويل أكثر من اللازم ، وله صوت أقرب إلى صوت النساء .

قام الكولونل بواجب التعارف ، وبعد أن ذكر للشباب سبب زيارتهم ، طلب منه أن يدلى إليهم ببيان عن حركاته وتصرفاته فى الليلة السابقة وقال : - وأرجو أن تفهم أنه لا حق لى حتى الآن فى أن أرغمك على الكلام وإن كل ما ستقوله لى قد يتخذ ضدك . أريد أن تفهم هذا جيداً .  
تمتم المهندس الشاب : - إننى .. إننى لا أفهم ..

ولكنك فهمت على كل حال أن روز أيموت غرقت فى الليلة الماضية .  
- أوه .. هذا فظيع .. فظيع جداً .. لم أغمض عينا طوال الليل . ولم أفعل شيئاً اليوم . أشعر بأننى مسئول .. مسئول تماماً ..

وتخلل شعره بأصابعه . واستطرد يقول وهو فى حالة يرثى لها :  
- لم تكن لى أية نوايا سيئة . ما كنت لأظن أبداً .. ما كنت لأتصور إنها ستأخذ الأمور هكذا . وجلس أمام منضده ودفن رأسه بين يديه .  
- هل يجب أن أفهم إنك ترفض أن تقول لنا أين كنت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس .

- كلا .. كلا .. كلا بالتأكيد .. كنت فى الخارج ..

فقد خرجت لكى أقوم بجولة .

- هل كننا متواعد مع روز أيموت ؟

- كلا .. خرجت بمفردى فى جولة كبيرة فى الغابة .

- إذن كيف تفسر هذه الورقة التى عثرنا عليها فى جيب الميتة ؟

وقرأ المفتش درويث نص الرسالة فى صوت جاف ثم قال :

- هل تتكر إنك كتبت هذه الرسالة يا مستر ساندفورد ؟ .

- كلا .. كلا .. إنك على حق .. أنا الذى كتبتها . فقد طلبت روز أن

التقى بها . ولم أدر ماذا أفعل فكتبت لها هذه الرسالة .

قال المفتش فى شيء من الرضا : أه .. هذا أفضل . أحتج

المهندس فقال فى صوت حاد :

- ولكننى لم أذهب إليها .. لم أذهب . أحسست بأنه لا يجب أن

أراها . كان فى نيتى أن أكتب لها من لندن ، وأن أتخذ بعض

الإجراءات .

- هل كنت تعرف أنها كانت تنتظر مولوداً تتهمك بأنك أبوه .

أطلق ساندفورد تنهيدة حادة ، ولكنه لم يجيب ، فسأله درويث فى

إصرار :

- هل هذا صحيح ؟ .

أجاب الشاب فى صوت أجش :

- أعتقد ذلك .

- أه .

ولم يخف المفتش إرتياحه وقال : - لنعد الآن إلى جولتك .. هل رآك

أحد ؟

- لا أعلم . لا أظن ذلك . لم ألتق بأحد على قدر ما اذكر .

- هذا أمر مؤسف لك .

- ماذا تعنى ؟

ونظر ساندفورد إلى المفتش بعينين دهشتين وإستطرد : - ما دخل جولى فى هذا الموضوع .. ؟ وهل تغير حقيقة أن روز إنتحرت غرقا ؟  
صاح المفتش فى إبتصار : - إنها تغير كل شىء ، إن روز لم تنتحر يا مستر ساندفورد وإنما أغرقت عمداً .  
- أفر ..

ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يتحقق المهندس من بشاعة الأمر  
وصاح : - يا إلهى .. ولكن .. وتكوم على مقعده مصعوقاً .  
وأتى الكولونيل ماشيت بحركة لكى ينهض وقال فى غلظة :  
- هل تفهم الآن يا ساندفورد ، لا يجب أن تغادر هذا البيت فى الوقت الحاضر .

ونعقب هذا التهديد المستتر خرج الرجال الثلاثة . وتشاور المفتش  
والمدير بالنظر وقال المفتش :

- هذا يكفى . أليس كذلك ياسيدى ؟

- نعم .. لم يعد أمامنا إلا إستصدار أمر من النيابة بالقبض عليه .  
أطلق سير هنرى صيحة مكتومة وقال : معذرة .. إننى نسيت قفازى .



وعاد إدراجه سريعاً فإذا بساندفورد مكانه لم يتحرك وقد راح  
ينظر أمامه فى غباء .

وقال سير هنرى : - إننى عدت لكى أقول لك شخصياً أننى سأبذل  
كل جهدى لمساعدتك . ليس لى الحق فى إن أكشف لك عن السبب  
الذى يحدونى إلى الإهتمام بأمرك . ولكننى أريد أن تذكر لى فى إيجاز  
بقدر المستطاع ما دار بينك وبين الصغيرة روز بالتمام .

- كانت جميلة جداً . جميلة جداً وفاتنة جداً و .. وهى التى سعت  
خلفى . وأقسم لك إن هذا هو ما حدث . لم تتركنى هادئاً لحظة واحدة .  
وقد أحسست بالوحدة فى هذه القرية التى كرهنى فيها الجميع . ولما  
كانت فائقة الجمال . ولما بدا لى أنها تفهم كل ما يتعلق بهذا .. وأنت  
تفهم طبعاً ما أعنيه ( وتحشرح صوته ، ورفع عينين متوسلتين إلى سير  
هنرى الذى ظل جامداً الأسارير ، وإذا رأى منه ذلك سعل فى إرتباك  
وإستطرد ) ثم وقع ما وقع . وأردت أن أتزوجها . ولم أدر ماذا أفعل .  
ولى خطيبة فى لندن إذا علمت بهذه القصة فسينتهى ما بيننا . ولن  
تفهم شيئاً . وعندئذ تصرفت تصرفاً غير سليم فقررت من امام روز  
كالجبان .. كما قلت منذ لحظات . خطر لى أن أعود إلى لندن . وأن  
أرى محامى ، وأعرض عليها مبلغاً أى مبلغ . لم أكن أدرى .. يا إلهى .  
ما كان أغبانى .. والآن كل شىء واضح تماماً .. ضدى .. ولكن لا ريب  
إنهم مخطئون . فلماذا لا تكون إنتحرت .. ؟

- هل حدث أن هددتك بأن تقتل نفسها ؟
- هنر ساندفورر رأسه وقال :
- أبداً .. من رأى أن ذلك لم يكن من طبعها .
- هل تعرف شيئاً عن شخص يدعى جو إيليس ؟
- النجار .. ؟ إنه شاب شريف من أهالى القرية . محدود الذكاء شيئاً ما . ولكنه مفتون جداً برونز .
- سأله سير هنرى : – ألم يكن يشعر بالغيرة ؟
- أظن إنه كان يشعر بها قليلاً ولكنه كان من طينة أخرى . ولا ريب أنه كان يتألم فى صمت .
- حسناً . أشكرك .. يجب أن أغادرك الآن .
- ولحق سير هنرى بزميليه وقال : أشعر أنى يجب أن أرى ذلك الشاب الآخر إيليس قبل الشروع فى أى شىء بصفة نهائية ، فإنه ليكون خطأ فظيلاً إذا القيتما القبض على شخص لاتلبث براءته أن تظهر . ومهما يكن فإن الغيرة دافع قوى للقتل . ودافع كثير الشيوخ كذلك .
- قال المفتش : هذا صحيح . ولكن المدعو جو إيليس ليس من هذا النوع . إنه لا يؤذى ذبابة ، وأظن أن ما من أحد قد رآه أبداً غاضباً . ولكننى أرى مثلك أن من الأوفق أن نمضى إليه ونسأله أين كان فى الليلة

الماضية لا ريب أنه موجود الآن في مسكنه إنه يقيم عند مسز  
بارتليت . وهى أرملة باسلة تقوم بغسل الثياب لأهالى القرية من وقت  
لآخر .

وكان البيت الصغير الذى مضوا إليه بيتاً نظيفاً إلى حد يدعو إلى  
العجب . وفتحت لهم الباب امرأة طويلة القامة ، بدينة الجسم . ذات وجه  
جذاب . وعينين زرقاوين صافيتين .  
وخاطبها المفتش درويت قائلاً :

- صباح الخير يا مسز بارتليت .. هل جو إيليس موجود .. ؟  
أجابت المرأة : - إنه عاد منذ نحو عشر دقائق . ولكن تفضلوا  
بالدخول أيها السادة .

وتقدمتهم وهى تمسح يديها فى منزرتها إلى غرفة صالون صغيرة  
مزدحمة بطيور مختلفة محطة وتحف صينية شتى وأشياء أخرى  
كثيرة . وأسرعت تقدم لهم المقاعد . وبعد أن نقلت منضدة صغيرة من  
مكانها أسرعت خارجة ونادت وهى على عتبة الباب :

- جو .. أقبل ثلاثة رجال لزيارتك .  
وأجابها صوت من آخر البيت يقول :  
- لحظة واحدة ريثما أغسل يدى .

إبتسمت مسز بارتليت فى إرتياح ، وقال الكولونل ملشيت :

— تعالى يامسز بارتليت وإجلسى .

قالت المرأة وقد راعها أن تجلس فى غرفتها بالذات مع زائريها :

— أوه ، كلا يا سيدى .. لن أجزؤ أبداً ..

ولم يلحف الكولونل عليها ، وإكتفى بأن قال فى غير اكتراث :

— هل أنت راضية بسكنى جو إيلليس ؟

— ليس هناك من هو أفضل منه ياسيدى .. إنه شاب هادىء جداً

حقاً ، لا يفرط فى الشراب أبداً ، ويحب عمله كل الحب ، ويحاول أن

يكون خدوماً فى البيت ، إنه هو الذى ركب هذه الرفوف ، وقد ركب

غيرها فى المطبخ أيضاً ، وآلاف الأشياء الصغيرة التى ينجزها فى

البيت يقوم بها عن طيب خاطر ، ويكاد لا يقبل حتى كلمة الشكر ، أه

ياسيدى ، إن الذين على غرارہ قليل فى أيامنا هذه .

قال ملشيت فى مرح : — ما أسعد الفتاة التى ستتزوجه ، ألم يكن

مغرمًا بتلك الفتاة المسكينة روز ايموت ؟

تنهدت مسز بارتليت وقالت : — لقد كدرنى هذا الأمر .. إنه كان

يعبد التراب الذى تطؤه بقدميها ، فى حين أنها لم تكن نحفل به ؟

— وأين يمضى جو امسياته يامسز بارتليت ؟

— هنا فى العادة ياسيدى ، أحياناً يقوم ببعض الإصلاحات للغير

لزيادة دخله ، وأحياناً يدرس إمساك الدفاتر عن طريق المراسلة .

- آه ، حقا ؟ - هل كان موجودا هنا مساء أمس ؟

- نعم ياسيدى .

تدخل سير هنرى فسألها فى حدة :

- هل أنت واثقة ؟

تحولت المرأة نحوه وقالت :

- كل الثقة ياسيدى .

- ألم يخرج فى نحو الثامنة والنصف مثلاً ؟

ضحكت مسز بارتليت ضحكة مرحة وأجابت :

- أبداً . إنه فرغ من تركيب الرفوف بالمطبخ وساعدته فى تركيبها

وقد أخذ منا هذا العمل طوال الأمسية تقريباً .

نظر سير هنرى إلى وجهها الهادىء المبتسم . ولأول مرة خامره

الشك . وبعد لحظة دخل جو ايلليس الغرفة .

كان طويل القامة ، عريض الكتفين ، ذا عينين زرقاوين خجولتين ،

ترسم على شفثيه ابتسامة حلوة .. كان مثال العملاق الظريف الحليم

الطيب القلب . توارت مسز بارتليت فى هدوء ، وألقى ملشيت سؤاله

الأول فقال : - إننا نحقق فى موت روزايموت . هل تعرفها يا ايلليس ؟

- نعم .

وتردد لحظة ثم تمتم يقول : - كنت أرجو أن أتزوجها ذات يوم ...

مسكينة روزا !



- هل كنت تعلم بما جرى لها ؟

- نعم .

وإرتسمت فى عينيهِ نظرة غضب وإسطرد :

- وقد تخلى عنها ، وكان ذلك خيراً لها على كل حال ، فما كانت لتسعد معه لو إنها تزوجته ، كنت أتوقع أن تعود إلى عندما حدث هذا ، ولو أنها فعلت لتزوجها ...

- على الرغم من ... - لم يكن الذنب ذنبها ، فقد أدار رأسها بعوده الخطوة وكل شيء . أوه ! أنها أطلعتنى على كل شيء ، ولم يكن فى نيتها أن تنتحر غرقاً بكل تأكيد ، فهو لم يكن ليستحقها .

- أين كنت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس يا ايليس ؟  
وتسأل سير هنرى إذا كان قد توهم ذلك ، أو إذا كان قد رأى حقاً ظلاً من الإرتباك فى الرد السريع ... الذى جاء بأسرع مما يجب فقد قال ايليسى : - كنت هنا أقوم بتركيب بعض الرفوف فى المطبخ من أجل مسز بارتليت ، سلها وستقول لك ذلك .

قال سير هنرى يحدث نفسه : « إنه سارع بالرد فى حين إنه رجل بطيء ، يفكر فى بطاء ، ومع ذلك فقد رد برباطة جأش ، وإعتقد أنه أعد رده مسبقاً » .

ولكنه لم يلبث أن عنف نفسه قائلاً وهو يتهم خياله : « ولكن لا .. إنتى أتوهم أشياء ... نعم ، حتى هذه الومضة التى لمعت فى عينيهِ الزرقاوين وهو ينطق بكلماته » .

وألقي رجل البوليس عليه بضع أسئلة أخرى أجاب جو عليها ، ثم  
إنصرف الرجال الثلاثة . ولكن سير هنرى تعطل بحجة ما ، ومضى إلى  
المطبخ . وكانت مسز بارتليت منهمكة أمام الفرن ، وتحولت إليه وعلى  
شفتيها إبتسامة حلوة . وكانت هناك رفوف جديدة مركبة فى الحائط .  
ولم يكن تركيبها قد تم بعد ، كما كانت أدوات النجارة وبقايا الخشب لا  
تزال ملقاة فوق الأرض .

- أهذه هى الرفوف التى ركبها ايلليس أمس ؟ ... لعمري أن جو  
هذا نجار بارع حقاً .

ولم يكن فى عينى المرأة أى خوف أو قلق :  
أترأه قد تخيل الخوف الذى رآه فى عينى ايلليس ؟ ... طبعاً لا .  
لقد إرتسم ظل من الخوف فى عينى الشاب فعلاً ، وعاد يقول محدثاً  
نفسه « يجب أن أجلو هذا السر » .

وإستدار نصف دورة لكى يخرج من المطبخ ، وإصطدم بعربة  
أطفال ، فأسرع يقول : - أرجو أن لا أكون قد ايقظت الوليد .  
ولكن مسز بارتليت ضحكت ضحكة مرحة وقالت :

- أوه ، كلا ياسيدى . ليس لدى أطفال ... وهذا أمر مؤسف . إننى  
أستخدم هذه العربة فى نقل الغسيل وإعادته إلى أصحابه .  
- آه . فهمت .

وأمسك عن الكلام وعاد أدراجه بدافع غريب وقال :  
- مسز بارتليت ، إنك كنت تعرفين روز ايموت .. فما رأيك فيها  
صراحة ؟

نظرت إليه في فضول وقالت : - لقد كانت طائشة يا سيدى .  
ولكنها ماتت الآن ، ولا أحب أن أتكم بسوء عن الموتى .  
- ولكن يدفعنى إلى هذا السؤال سبب وجيه .. وجيه جداً .  
تكم سير هنرى بلهجة مقنعة ، وبدا إن المرأة تزن الأمر جيداً .  
ونظرت إلى وجه محدثها فاحصة ، ثم قالت فى هدوء ، وقد إستقر منها  
الغرم : كانت فتاة غير صالحة . ولكننى ما كنت لأقول هذا أمام جو ،  
فقد كان المسكين كلفا بها جداً . إن هذا النوع من النساء يعرف كيف  
يلعب بعقول الرجال ، وهذا عمل معيب ، ولا شك إنك تفهم ما أقصده يا  
سيدى .

نعم . كان سير هنرى يفهم ... كان الشباب الذى على شاكلة  
ايلليس كثيرون ، ومن السهل أن يقعوا فى الحب ، وهم على درجة كبيرة  
من السذاجة ، ولكن إذا ما صدموا فى شعورهم نتيجة إكتشافهم  
الخيانة فإنه يمكن أن تتملكهم العنف والعنف الشديد .  
وغادر البيت وهو يشعر بالحيرة والقلق ، فقد إصطدم بعقبة كبيرة .  
ذلك أن جو ايلليس قضى الأمسية كلها فى البيت فى تركيب الرفوف ،  
وبقيت مسز بارتليت بجواره . فماذا يفعل ؟ .. هل يستطيع أن يكذب

الحقائق ؟ لم يكن هناك أى شيء يثير الشك اللهم إلا تلك السرعة التى رد بها جو ايلليس ، وكأنه يعيد درساً حفظه عن ظهر قلب .

وقال ملشيت : - حسناً ... يبدو أن كل شيء قد أصبح واضحاً ، وافقه المفتش قائلاً : - بلى فى غاية الوضوح . إن ساندفورد هو رجلنا ، لا يمكنه أن يفلت منا . إن الأمر واضح وضوح النهار . من رأى أن الأب والفتاة عقد العزم على تهديده وإبتزاز ماله ، ولم يكن يملك ما يكفى من المال لإرضائهما ، ولم يشأ أن تصل هذه القصة البغيضة إلى سمع خطيبته .. كان يائساً ودفعه اليأس إلى هذا التصرف .

وأردت بقولى وهو يخاطب سير هنرى فى إحترام :

- ما رأيك ياسيدى ؟

أجاب المدير السابق لإدارة اسكوتلانديارد على مضض :

- هذا جائز ، ومع ذلك فهناك شيء يزعجنى . لا أستطيع أن أتصور ساندفورد مقدماً على تصرف عنيف كهذا .

ولكنه كان متأكداً أن اعتراضه هذا لم يكن يساوى شيئاً ، خاصة وهو يعرف أن أشد الرجال هدوءاً يمكن أن يقدم على أغرب الأعمال فى لحظة من لحظات الغضب . وقال فجأة : - أود أن أرى الغلام أيضاً .. ذلك الذى سمع الصيحة .

وكان جيم براون صبيّاً صغيراً بالنسبة لسنه ، ولكنه يبدو ذكياً وحصيفاً ، ولم يجد أية صعوبة فى إثبات ذكائه . فقد كان يتلهم على

أن يستجوبه رجال البوليس . وبدأت عليه امارات الخيبة عندما قوطع  
فى منتصف قصته عن مأساة الأمس ، وكان قد أمضى وقتاً طويلاً فى  
إعدادها فى ذهنه .

قال له سير هنرى : - فهمت من قصتك إنك كنت فى الناحية  
الأخرى من الجسر ، وإنك كنت قادماً من القرية وعبرت الجسر ... هذا  
هو ما حدث ؟ .. اليس كذلك ؟ ... هل رأيت أحدا عندما بلغت الجسر ؟  
- كان هناك رجل يسير فى الغابة ، وأظنه مستر ساندفورد ،  
المهندس الذى يبنى ذلك البيت العجيب .

تبادل الرجال الثلاثة النظر : - تقول إنك رأيته قبل أن تسمع  
الصرخة بعشر دقائق ؟

أحنى الغلام رأسه علامة الإيجاب : - هل رأيت شخصاً آخر على  
طول الشاطئ من ناحية القرية ؟ - رأيت رجلاً كان يمشى فى بطاء  
وهو يصفر ... لا ريب إنه هو جو ايليس .

قال المفتش فى حدة : - ما كان فى مقدورك أن تعرف من هو ،  
فقد كان هناك ضباب ، ثم إن الوقت كان ليلاً .

- ولكننى عرفتته من صفيره .. فإن جو يصفر دائماً نفس اللحن ..  
■ أريد أن أكون سعيداً » .

وكان جيمى قد تكلم بلهجة حافلة بكل ما يحس به من ازدراء نحو  
رجل غبى بليد .



قال ملشيت : فى مقدور أى شخص أن يصفر نفس اللحن . هل كان متجهاً نحو الجسر .

- كلا . بل كان متجهاً نحو الطريق الآخر .. نحو الغابة

فكر ملشيت قليلاً ثم قال : - لا أظن إننا بحاجة إلى الإهتمام بهذا الرجل الغريب . ثم سمعت الصرخة التى أعقبها سقوط جسم فى الماء ، وبعد بضع دقائق خيل لك أنك ترى جسداً يجرفه التيار ، فأسرعت تبحث عن النجدة ، وعبرت الجسر ، وإنطلقت تجرى نحو القرية . ألم تر أحدا بجوار الجسر عندئذ ؟

- أظن أنه كان هناك رجلان ، ومعهما عربة صغيرة على الشاطئ بجوار الجسر ولكنهما كانا بعيدين جداً ، ولا أدرى هل كانا قادمين من القرية أو ماضيين إليها . وكان البيت أقرب منى إليهما فأسرعت إليه . قال ملشيت : إنك أحسنت صنعاً يا بنى إنك تصرفت تصرفاً جميلاً أظن إنك تنتمى إلى الكشافة ؟

- نعم ياسيدى .

- حسناً . هذا جميل .

بقى سير هنرى صامتاً لحظة وقد غرق فى التفكير . وأخذ ورقة من جيبه بسطها ، ونظر إلى الكتابة المسطورة عليها ثم هز رأسه . كان الأمر يبدو بعيد الاحتمال . ومع ذلك .. وأستقرت نيته على الذهاب إلى مس ماربل .

واستقبلته فى غرفة الصالون ، وكانت غرفة صغيرة جميلة الرياش ،  
عامرة بالتحف الثمينة ، وخاطبها قائلاً : - اتيت لكى أقول لك مدى ما  
وصلت إليه من تحريات ، وأخشى أن يكون الأمر على غير ما تظنين  
فإنهم سيقبضون القبض على ساندفورد .

- الم تجد شيئاً يمكن أن . ماذا أقول . أن يؤيد نظريتنا .. ( وبدأت  
عليها امارات الحيره والقلق ) .. لعلى أخطأت . أخطأت تماماً . ولكنك  
على دراية كبيرة ياسير هنرى بحيث لا يمكن أن تخفى عليك الحقيقة .  
أجاب سير هنرى : إذا أردت الحقيقة فإننى أكاد لا أصدق ذلك . ثم  
إننا نصطدم بدليل نفى لا يمكن نقضه فقد قضى جو ايلليس الليل فى  
تركيب رفوف فى مطبخ مسز بارتليت وكانت هذه الأخيرة معه طوال  
الوقت .

أجفلت مس ماربل ، وإنحنت إلى الأمام وأخذت نفساً طويلاً ، ثم  
قالت : ولذى هذا غير ممكن . فقد حدثت المأساة مساء يوم الجمعة .  
- . مساء يوم الجمعة ؟ - نعم ... ففى مساء كل يوم جمعة تمضى  
مسز بارتليت لإعادة الفسيل لأصحابه .

اضطجع سير هنرى فى مقعده إلى الراء وعادت قصة الغلام إلى  
ذهنه قصة الرجل الذى يصفر نعم .. إن كل شىء يتطابق ويجد مكانه  
تماماً

ونهض وأخذ يد مس ماربل بين يديه ، وضغط عليها فى رفق وقال :  
- أظن أننى بدأت أرى كل شىء فى وضوح يا مس ماربل . سأحاول  
أن أهتدى إلى الحلقة الناقصة

وبعد خمس دقائق كان قد عاد من جديد إلى بيت مسز بارتليت ، ووجد جو ايلليس فى غرفة الصالون الصغيرة المزدحمة بمختلف التحف ، وإبتدريه قائلاً :

- إنك كذبت علينا يا ايلليس بخصوص الليلة الماضية ، فأنت لم تكن فى المطبخ ، ولم تتركب الرفوف فيما بين الثامنة والثامنة والنصف ، فقد رآك بعضهم على شاطئ النهر بجوار الجسر قبل مقتل روز ايموت ببضع دقائق .

إبتلع الرجل ريقه بصعوبة قائلاً : - ولكنها لم تقتل ... كلا . ليس هذا صحيحاً ... إنها ألقى بنفسها فى النهر . كانت يائسة ، وما كنت لأمس شعرة من رأسها .

- لماذا كذبت على أذن ؟ ... لماذا لم تقل الحقيقة على الفور ؟  
تهربت عينا الشاب فى إرتباك وقال : - كنت خائفاً . فقد رأيتى مسز بارتليت هناك . وعندما عرفنا ما حدث بعد ذلك بقليل .. حسناً .. خطر لها أن الأمر قد يكون فيه ضرر لى ، ورأيت أن أزعج إننى كنت أقوم بتركيب الرفوف هنا ، ووافقتنى هى على ذلك .

لم ينطق سيز هنرى ، وإنما ترك جو ايلليس وحده فى الغرفة . وأسرع إلى المطبخ حيث كانت مسز بارتليت تغسل الأطباق . وبادرها قائلاً : - مسز بارتليت ، إننى أعرف كل شىء . وأظن إن من الأوفق لك أن تعترفى ، إلا إذا أثرت أن يشنق جو ايلليس بسبب شىء لم يفعله .

كلا . إننى أعلم تماماً إنك لا تريد أن يقع هذا . إنك خرجت لتسليم الغسيل لأصحابه ، والتقيت بـروز ايموت . وكنت تظنين إنها ستترك جو ايليس لكى ترحل مع ذلك الغريب . ولكن ها هي ذى تنتظر مولوداً . وجو ايليس على استعداد لكى يخف لنجدتها . ولكى يتزوجها إذا رضيت به . ولكنه يقيم فى بيتك منذ أربع سنوات . وقد وقعت فى هواه ، وارتدت أن تحتفظى به لنفسك ، وبدأت تكرهين الفتاة . لم تستطعى احتمال فكرة أن تأخذ منك تلك الفاجرة الحقيرة الرجل الذى تحبينه . اليس كذلك ؟ فأمسكتها من الخلف من كتفيها ، ودفعت بها إلى النهر . وبعد دقائق التقيت بجو ايليس ، وراكما الغلام جيمى معاً ، ولكنه توهم بسبب الظلام إن العربة الصغيرة عربة أطفال يجرها رجلان . وقد سارعت فاقنعت جو بأن الشكوك يمكن أن ترقى إليه ، وأخلفت هذه القصة لإبعاد التهمة عنه ، فى حين إنك كنت تحاولين إبعادها عنك أنت فى الواقع . هل أنا على صواب أم إننى أخطأت .

وإنتظر وهو يكتفم أنفاسه .

وكانت واقفة أمامه تجفف يديها فى منزرتها ، وهى تدرك فى بطنها فى نفس الوقت هزيمتها . وقالت أخيراً فى صوت هادئ منخفض أدرك سير هنرى فجأة خطورته الشديدة :

— هذا هو ما حدث ، ولا أدري ما الذى جرى لى ، ولكنها كانت فتاة فاجرة ، وخطر لى فجأة إنها قد تنتزع منى جو ، ولم أكن سعيدة فى

حياتى يا سيدى ، فقد كان زوجى فقيراً شرساً ، أقعده المرض ،  
وضطرت إلى العناية والإهتمام به ، ثم جاء جو للسكنى هنا . وأنا  
لست امرأة مسنة على الرغم من المشيب الذى خط شعرى ، فقد بلغت  
الأربعين منذ قليل ، وجو شاب وحيد ليس له مثيل بين ألف من الرجال ،  
وما كنت لا تردد عن شيء فى سبيله .. ما كنت لا تردد أبداً ... كان  
كالطفل الوديع الظريف الساذج .. كان ملكى أنا ... ولكن جاءت هذه ..  
وشهقت باكية ، ولكنها سرعان ما تغلبت على مشاعرها ، وحتى فى  
هذه اللحظة ظلت امرأة قوية ، فإنتصبت قامتها ، وألقت نظرة كلها  
فضول على سير هنرى وإستطردت : - إننى على إستعداد لأن أتبعك  
يا سيدى . ما كنت لأعتقد أبداً أن فى مقدور أحد اكتشاف الحقيقة ،  
ولا أدرى كيف إستطعت انت أن تعرف ذلك .. لا أدرى حقاً .  
هز سير هنرى رأسه فى رفق وقال . - الحق إننى لم أعرف .  
ونطق بكلماته هذه وهو يفكر بكل صدق وإخلاص فى الورقة  
الصغيرة التى إنتزعته مس ماربل من دفترها ، والتى سطرت عليها  
بخطها الصغير الدقيق هذه الكلمات : مسز بارتليت التى يسكن عندها  
جو ايليس ومرة أخرى كانت مس ماربل على صواب .





## أين النقود ؟

لم تكن هناك نسمة هواء ، وكان يوم الإثنين من شهر يوليه الذى نحن بصددده من أشد أيام الصيف حراً ، وكنت مسترخياً مترنحاً على مقعد خشبى ذى رقائى حديدية ، فى ظل مبنى المحكمة القديمة تحت نوافذ الطابق الأول ، حيث يوجد مكتبى ، وكان يعطوها الغبار والشوارع تكاد تكون مقفرة ، إذ لجأ أغلب الناس إلى الشاطئ هرباً من سخونة الجو .

ورأيت السيارة المكشوفة تقف عند الإشارة الحمراء ، وهى واحدة من إشارتين تملكهما المدينة . وكان السائق وحده ولم أكن أعرفه . وبدأ نافذ الصبر ، وترك المحرك يدور فى إنتظار تغيير الإشارة . وعندما تحولت هذه إلى اللون الأخضر إنطلق كالإعصار .

وبعد عشر دقائق أقبلت سيارة من ناحية البحيرة وإجتازت المفاقر بكل سرعة ثم جاءت وتوقفت أمامى . وتوقعت حدثاً جليلاً حتى قبل أن تصرح المرأة التى أمام عجلة القيادة قائلة عبر النافذة المفتوحة

- أيها الشريف وقعت حادثة بجوار البحيرة ، وأظن أن رجلاً مات .

كانت السيارة المكشوفة قد حادت عن الطريق العمومي على مقربة من البحيرة ، وهو طريق متعرج ينقسم إلى دربين ، ولا بد للسائق أن يكون على أتم الحذر والحيطه وهو يقود سيارته فى هذه الناحية كما تشير اللافتات الموضوعه هناك بذلك . ولكن صاحبنا كان فى عجل من أمره ، ويبدو إنه لم يلحظ اللافتات ، فحادت السيارة عن الطريق عندما حاول أن يدوس على الفرامل فإنقلبت وإنحشرت بين شجرتين ضخمتين وطار السائق من مقعده ووقع على صدره فوق الأرض وتهشمت أضلاعه وتحول وجهه إلى ، وانحنيت فوقه ولم أكن أعرفه .

. وعدت إلى سيارتى ، وأخذت غطاء من صندوقها ، واستقبلت بسرور بوليس المرورالذين أخطرتهم بواسطة جهاز اللاسلكى الموجود فى سيارتى، وأبعدت جمهور المتطفلين الذين بدأوا يتجمعون فى مكان الحادث . ثم مضيت إلى ما تبقى من السيارة المكشوفة، وجثوت وسط الحطام الذى تسبب فى الإصطدام، وفتحت الباب الذى بجوار السائق ، وتناولت بطاقة من البلاستيك تحت عجلة القيادة لكى أرى رخصة السيارة . كانت هذه ملكاً لشخص يدعى ر . م . برادستون من مدينة سانت بول وعدت إلى الجثة ، ووجدت بأحد جيوبها محفظة بها بطاقة بأسم ر . م . برادستون وكيل إحدى الشركات التى تصنع التوابيت . وبعد ساعة كنا قد فرغنا من كل شىء ، فقد نقل ايدناسون الجثة ، وايدناسون هذا هو صاحب محل دفن الموتى الوحيد فى المدينة ، وإنترعنا تونى سكالى ، صاحب الجاراج من عوامته التى صنعها

بنفسه حيث يقضى فيها هو وزوجته مافى بعد ظهر كل يوم من أيام الصيف بين السباحة وبين الإسترخاء والإستلقاء لتعريض جسديهما لأشعة الشمس . وقد حاول أن يخفى إستيائه لأننا إنتزعناه من متعته المحبوبة فمضى وركب قاطرته وسحب السيارة المحطمة حتى جاراه . وراح رجال المرور يراقبون حركة المرور من جديد .

وركبت سيارة الخدمة وعدت . كان الحر داخل المبنى القديم لا يطاق . ولكننى على الرغم من ذلك كتبت التقرير الخاص بالحادث ، واتصلت تليقونياً بشركة التوابيت بسنت بول ، وهى تقع على بعد تسعين كيلو مترا ، وأخبرت أحد مديريها بما حدث ، فتلقى نبأ موت ر . م . برادستون بدهشة كبيرة . وطلبت منه أن يتصل بايدناسون لنقل الجثة . وبهذا إنتهى كل شئ بالنسبة لى ، على الأقل حتى هبت عاصفة عنيفة ، على المدينة فى تلك الليلة حملت معها سيلاً من الأمطار فى صباح اليوم التالى ، ورجلا أنيقاً قال إن إسمه اتويل ليمسون وإنه مدير الشركة التى كان برادستون يعمل بها ، وطلب منى خمسة وعشرين ألف دولار نقداً قال إنها كانت مع برادستون .

قلت مشدوهاً : - نقداً ؟

ودفعت إليه ، فوق المكتب بالأشياء التى وجدناها فى جيوب برادستون وقلت :

- إننى لم أجد معه شيئاً يا مستر ليمسون . لم نجد خمسة وعشرين

ألف دولار بكل تأكيد . لم يكن معه غير سبعة وثلاثين دولاراً في محفظته وقطع نقود صغيرة في جيبه . وهذا كل شيء .  
اتسعت عينا ليمسون وقال : إن المبلغ كان في السيارة في أبوابها .  
- ماذا ؟

- إن معاملاتي كلها بالنقد أيها الشريف . إن وكلائى يبيعون ويقبضون ونقوم نحن بالتسليم . وكان برادستون عائداً إلى سانت بول بعد أن عقد صفقة ، واتصل بالمكتب تليفونياً قبل ذلك بيومين ، وهذا المبلغ كان يجب أن يكون موجوداً في أبواب السيارة ، وكان يتصرف هكذا حتى يضمن عدم ضياعه في الطريق .

وافقت الرجل القصير الأنيق على أن التعامل بالنقد أفضل ، وأنا نفسى كنت أحبذ هذه الطريقة ، فلم أكتب على نفسى كنبالة فى أى وقت من الأوقات ، ولم أشتري أى شيء على الحساب ، ولم تكن بى أية ثقة فى الشيكات . وإذا كنت لم أملك البيت الصغير الذى أصبوا إليه فذلك لأنه كان ينقصنى ستة آلاف دولار لكى أدفع ثمنه نقداً ، ولكن من العسير أن يقبل أحد دفع خمسة وعشرين ألف دولار نقداً ، فإن أغلب الناس لا يدفعون بل لا يستطيعون سداد هذا المبلغ ... بهذه الطريقة .  
وعبرت له عن رأى هذا بصوت مسموع . ولكن لم يكن من جراء ذلك إلا أن إزداد ليمسون قسوة وضراوة وراح يصرخ ويؤكد أن هذا المبلغ موجود فى السيارة المكشوفة المظلمة . ولد سعننى إلا أن أقول :

- حسناً جداً . سنذهب إلى جراج تونى سكالى . فهناك يوجد  
حطام السيارة . وسنرى إن كان فيها أى شىء .  
وكان جراج تونى على بعد خطوات . ولكن لم نكن نستطيع مع ذلك  
أن نذهب إليه تحت سيل المطر ، فركبنا سيارة الخدمة . وفتح تونى  
الباب الكبير بمجرد أن سمع بوق السيارة . ثم أغلقه خلفنا ، ولحق بنا  
ونحن نهبط من السيارة . كان رجلاً قصيراً ، ربعة القوام ، فى  
الخامسة والأربعين من عمره ، له وجه مستدير أسمر ، وشعر داكن ،  
وأصابع معوجة تصبح أدوات ساحرة عندما يتعلق الأمر بإصلاح أى  
نوع من المحركات . وكان لا يهتم بشىء آخر غير عمله ، إلا بزوجته  
وعوامته والصيد تحت الماء . وكان طوال شهور الصيف يشتغل فى  
الجراج فى الصباح والمساء ، أما فترة بعد الظهر فكان يكرسها  
لمارفى وللبحيرة ومسرات الماء .

كانت مارفى بكل تأكيد أجمل فتاة فى المدينة . وكانت فى مثل  
سنى ، أى أصغر من زوجها بسبعة عشر عاماً . وكان هناك كثيرون فى  
المدينة لم يفهموا كيف رضيت ، منذ أربع سنوات ، أن تتزوج بتونى  
سكارنى . كان هذا الزواج قد تم بعد خمسة شهور من وفاة والد مارفى  
، وكان شريكاً لتونى ، وقد أثار أكبر دهشة عندئذ ، وقال بعضهم إن  
مارفى أحست بالوحدة بصورة غريبة ، وإنها كانت بحاجة إلى الأمان  
بعد موت أبيها . وقال البعض الآخر إنها كانت تشكو من عقدة أوديب .

وأنا نفسى لم أفهم هذا الزواج أبدا ، والواقع إنه كان هناك وقت كنت  
أتخيل نفسى فيه أنا ومارفى أمام القسيس حيث يعقد زواجنا .  
أومأ تونى سكارنى محييا ، ونظر إلى أتويل ليمسون فى دهشة .  
وشرحت له سبب قدومنا ، فبدأ عليه الدهول وقال :

- هل تمزح يا شارلى ؟

سألته : - هل فحصت العربية ؟

- طبعاً ، ألقيت عليها نظرة . لم يبق منها أى شىء . إنها تهشمت  
تماماً ، ولا أدري كيف يمكن إصلاحها . أما التفتيش فى الأبواب فليس  
من خصائصى .

- فلنذهب لوؤيتنا .

كان هيكل السيارة المكشوفة موجودا فى ركن مظلم من الجراج .  
وأخذ تونى أدواته ، وراح يعمل فى الأبواب وأزال ما حولها من تنجيد ،  
وكان داخلها فارغاً .

نظرت إلى أتويل ليمسون محاولا أن أستشف أفكاره ، ولكن وجهه  
ظل جامداً ، ولم ينم عن غضبه غير عينيه ، وإنفجر فجأة وقال فى  
صوت حاد : - من منكما الذى سرقه ؟ من الذى أخذ نقودى ؟ .. أين  
تخفيانها ؟ إن واحدا منكما ..

صحت به : - هذا يكفى .

كان يريد أن يزيد ، ولكنه سكت عندما أمسكته من ذراعه ودفعته



نحو عربة الخدمة ، ثم عدت إلى تونى ، وكان يعيد الأبواب مكانها .  
وقال : - من هذا المعتوه يا شارلى ؟

قلت بون أن أكذب : - لا أدري .

وكان تونى جاثيا على ركبتيه مركزاً كل إهتمامه إلى عمله . وكنت واقفاً خلفه أنظر إلى جسمه الضخم ، وأنا أتساءل هل صحيح عثر على المال ولم يقل شيئاً عنه ؟

وأدار رأسه فجأة ونظر إلى من فوق كتفه الضخم وقال :

- إننا نرى هذه الأيام أنواعا كثيرة من المجانين يا صاحبي ، أليس كذلك ؟

قلت : - نعم . هل لمس أى أحد غيرك هذه العربة بعد أن جئت بها إلى هنا ؟  
- كلا .

- ألم يقترب منها أحد ؟

- أبداً . أنت تعرف كيف تجرى الأمور هنا عندما يقع حادث يا شارلى . إن الناس فضوليون بطبعهم ، خاصة إذا ما لقي أحدهم مصرعه . فإنهم يدخلون ويخرجون لمشاهدة السيارة ولكن ..

وفجأة هب على قدميه وقال :

- ولكن لا أظنك تصدق قصة ليمسون هذا . لا أخالك تعتقد إنه كانت بهذا الحطام نقوداً حقاً ؟

كلا ما أعرفه يا تونى هو إن ليمسون شديد الغضب .

حقاً ؟ . حسناً عيه أن يهدأ إذن .

إبتسمت وريت على كتفه وقلت له : إلى اللقاء يا تونى سأحاول فيما

بعد أن أعرف ماذا يريد ليمسون أن يفعل بهذا الحطام . إن السيارة

كانت مسجلة بإسم برادستون ولكن يحتمل أن تكون ملكاً للشركة .

- حتى الآن لم تكلفه السيارة فى الجاراج مليماً واحداً ، ولكن إبتداً

من هذه اللحظة سيدين لى ليمسون بمبلغ خمسة دولارات عن كل دقيقة

تبقى بها سيارته حتى ينقلها من جراجى .

لم يكن غضب ليمسون قد خفت حدته عندما عدنا إلى مبنى

المحكمة ، ففتحت الباب وهبط تحت المطر قبل أن أستطيع أيقاف

المحرك ، ثم تحول ونظر إلى فى غلظة وقال بصراحة :

- بعضهم سرق خمسة وعشرين ألف دولار .

- إن مثل هذا الإتهام قد يسبب ضرراً كبيراً ياليمسون . ولعل من

الأوفق أن تستشير محامياً .

- سأهتم بهذا الأمر بنفسى أيها الشريف .

- حقاً ؟ .. وكيف هذا ؟

ولكنه صفق الباب وإبتعد ورأيته يمضى تحت المطر وكان يمشى كما

لو كان لا يحسن بآية قطرة ثم صعد فى سيارة صغيرة متألقة وانطلق .

شعرت بالقلق . لم أشأ أن أصدق وجود الخمسة والعشرين ألف

دولار ، ومن ناحية أخرى ، لماذا يخلق ليمسون ، وهو غريب عن هذه المدينة مثل هذه القصة . وإذا كانت الدولارات قد وجدت في السيارة حقاً ، فأين هي الآن ؟ .

فكرت في تونى .. إنه كان رجلاً شريفاً ، يباشر عمله بحذق ومنفعة ، ومع ذلك أفلا يمكن أن يكون لضخامة هذا المبلغ النقدي أكبر إغراء مهما بلغ شرف الإنسان ؟

وحولت اهتمامى إلى عملى الروتينى لكى أطرده من ذهنى قصة ذلك المبلغ المختفى . واضطرت إلى الذهاب بالعربة إلى الريف لتسليم أوراق طلاق لمزارع شاب . وفى أثناء عودتى مررت بموتيل هايواى حيث رأيت سيارة ليمسون ، وكانت واقفة أمام غرفة ، ولم يكن بها أحد ، ولم يرق لى وجود هذه السيارة فى ذلك المكان ، ولكننى لم أستطيع أن أفعل شيئاً .

ومر الوقت ، وكان صباح يوم الأربعاء صحوا ورطباً . وراح البخار يتصاعد من الأرض المبتلة بالماء . ومررت من جديد أمام موتيل هايواى فى طريقى إلى المكتب . لم تكن سيارة ليمسون هناك ، فأحسست بالإرتياح ، ولكن جاعتنى فى نحو الساعة العاشرة مكالمة من مسز هولمز صاحبة الموتيل نقول أن إحدى الغرف تحطم ما فيها من أثاث ومفروشات وإن نقطة من الدم تلوث السجادة . وكانت الغرفة المذكورة هى التى كان يشغلها ليمسون . وسألتها :

- هل رأيتَهُ وهو يغادر الموتيل اليوم ؟
- كلا ..
- وهل سدد إيجار الغرفة ؟
- إننى أحصل على الإيجار مقدماً دائماً .
- هل زاره أحد أمس ؟
- نعم . ولكن لا ريب إن ذلك قد حدث بعد الساعة الواحدة صباحاً
- فقد بقيت فى مكتبى حتى ذلك الوقت . ولم أر أحد يدخل أو يخرج .
- أو لم تسمع شيئاً ما ؟
- كلا .
- يخيل لى يا مسز هولمز أن مشاةجرة وقعت .
- وهذا الدم ؟
- قد يكون سببه نزيف من أنفه أو من بعض الجروح . لا أظن أن هناك شيئاً خطيراً ، ومهما يكن فإن السيارة قد إختفت ولم يترك الرجل شيئاً هنا وهذا ما يثبت أنه أخذ متاعه وإنصرف .
- قالت مسز هولمز وهى تهز رأسها : كانت معه حقيبة وقد رأيتَهُ يخرجها من سيارته ويمضى بها إلى غرفته ، بعد أن سجل إسمه فى السجل .
- أستطيع أن أعطيك عنوانه التجارى .
- أكون ممتنة لك أيها الشريف فيجب أن يدفعوا لى ثمن التلفيات .
- وعدت إلى المدينة . وَذَهَبَتْ إِلَى جَرَّاجِ تونى سَكالى وأنا أشك قليلاً فيما حدث . فقد هبط لبيمستون فى الموتيل ولا ريب أنه تكلم فى

التليفون مساء يوم الثلاثاء وإتهم تونى مرة أخرى بسرقة المبلغ فإستاء تونى ، ومضى إلى الموتيل ليؤديه .

هذا ما حدث بغير شك ، وقد دفعنى تونى إلى الإحساس بذلك عندما رأيته فى الجراج ، فقد كان يبدو مشاكساً وأكبر من سنه بنحو عشر سنوات ، وزادت غصون وجهه ، وإكتست عيناه بنظرة جوفاء ، وكان يضع شريطاً لاصقاً على جزء من وجهه .. يبدأ من عينه اليسرى حتى أذنه ويظهر يده جروح كثيرة ، وقال قبل أن أسأله عن أى شىء :  
- وقع على رأسى مفتاح إنجليزى فشجها وأصابنى بجراح .

وكان كاذباً طبعاً ولكنى لم أستطيع مناقشته وقال :

- ما الذى أتى بك اليوم يا شارلى ؟ هل أصيبت السيارة بعطب ؟  
أجبت : - إنما أريد أن تغير لى العجلات .

أيمكن أن تنتظر حتى يوم الجمعة ؟ فى الساعة التاسعة صباحاً ؟  
- لا بأس يا تومى .

ولم تكن بى رغبة فى استجواب مارفى ، ولكن كان لابد من ذلك إذا كنت أنشد راحة البال ، وجاءت إلى الباب وهى ترتدى قميصاً أبيض وينظوناً أحمر ، حافية القدمين . كانت سمراء وكان واضحاً أنها صبغت شفتيها بالأحمر لتوها . وأحسست عندئذ بإحساس الحرمان الذى طالما أحسست به .. لو أنها إنتظرتنى سنة واحدة لإستطعت أن أجمع الضرورى من المال لكى نبدأ حياتنا على أسس ثابتة .

وقدمت لى القهوة على مائدة المطبخ وجلست أمامى ، جميلة تتدفق حياة ، وراحت عيناها المنقطتان بالأخضر تومضان ، وخطر لى عندئذ أنها تدرى تماماً بما أشعر نحوها .

لم تكن تجهل قصة نقود ليمسون فقد أخبرها تونى بها ، وعندما أوحيت بأنه ربما جاءت مكالمه مساء يوم الثلاثاء وإنه ربما ذهب على أثرها إلى الموتيل تجهم وجهها وأسرعت تقول

— إنه بقى فى البيت طوال الليل يا شارل ، بقينا معاً هنا ، وشاهدنا التليفزيون ، ثم أويينا إلى الفراش فى وقت مبكر . ولم تأت أية مكالمه تليفونية لتونى ولم يغادر البيت

عرفت إنها تنكذب وتحاول حماية زوجها ، وأردفت تقول : — إنك تعرف تونى . إنه شاب ظريف لا يتشاجر مع أحد .

ولم أكن قد تحدثت أبداً عن المشاجرة التى وقعت فى الموتيل . ولم يكن هناك عمل كثير لا يوم الأربعاء ، ولا يوم الخميس ، وحاولت أن لا أفكر إلا فى البيت الذى أريد أن أشتريه ، وفى نائبى الذى يقوم بأجازته له ولكن كان هناك خلف هذا كله خمسة وعشرون ألف دولار نقداً ، وحادث سيرة ، وصاحب جراج ، وزوجته الحسناء ورجل اسمه ليمسون ، ومشاجرة وقعت فى إحدى غرف الموتيل .

هل أخذ تونى سكالى الخمسة والعشرين ألف دولار ، وخبأها وضرب ضرباً مبرحاً رجلاً اتهمه بالسرقة ؟



وفى يوم الجمعة تشكلت شكوكى فقد وجدت عند عودتى إلى المكتب بعد الغذاء رجلين فى إنتظارى ... كل منهما عريض الكتفين متين البناء يرتدى ثياباً تقليدية ، يتقد ذكاء ونشاطاً ، وعرضاً على أوراقاً رسمية تدل على إنهما من رجال الخزانة الأمريكية . وأرادا أن يعرفا إذا كنت قد سمعت عن شخص يدعى أتويل ليمسون .

وأبدت حرصاً كبيراً فسألتهما لماذا يهتمان به دون أن اذكر لهما إننى التقيت به ، فأخبرانى بإيجاز إنهم يشتبهون فى أن ليمسون يبيع أسلحة لمناهضى ثورة كاسترو . وأبدت لهما دهشتى من أن تقع مثل هذه المسألة فى مينيسوتا ، فى حين إن فلوريدا هى المكان المنطقى ، ولكنهما قال لى إنهما يشتبهان فى أن ليمسون يجمع البنادق المسروقة من مخازن الجيش والبحرية ويرسلها فى توابيت إلى فلوريدا . وقال أحدهما : إننا نراقب أتويل ليمسون منذ شهور . ونحن نعرف إنه يقوم بالإتجار فى الأسلحة ولكننا حتى الآن لم نستطيع التدليل على ذلك .

قلت وأنا أتأهب لكى أحدثهما عن زيارة ليمسون دون أن أتعرض فى حديثى لتونى سكالى . - كم ساعة تراقبانه فى اليوم ؟

- طوال اليوم فيما عدا مساء الإثنين .

ورأيت الرجل يلقى نظرة سريعة على زميله عندما قلت : الإثنين الماضى ؟ - كان أحد رجالنا يتبعه ، ولكن ليمسون هرب منه ، ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنه غادر سانت بول وجاء هنا .

- أية أسباب ؟

استرد الرجل أنفاسه وقال : - لم ير أحد منا ليمسون منذ مساء الإثنين ولكن إحدى سياراته وهى التى كان يركبها مساء الإثنين بالذات وجدت فى أحد شوارع سانت بول بعد ان أزيل ما عليها من بصمات ، وقد بدا لنا ذلك غريباً ، وما زلنا نستغربه حتى الآن ، وبعد ذلك بقليل ، وأمس بالذات دخلنا مسكنه فوجدنا كل شىء على ما يرام ، ولكننا وجدنا دفتراً صغيراً بجوار التليفون ، وفى هذا الدفتر كتب ليمسون بخط يده إسم هذه المدينة .

- حسناً ؟

هز الرجل كتفيه وقال : لا ندرى شيئاً أيها الشريف ، ولكننا نتعلق بقشة واهية ، وما زالت أمامنا فرصة فى أن يكون ليمسون قد أقبل هنا لسبب ما ، وإنه لا يزال هنا . ولكن لعله تخلص من سيارته لكي يستقل القطار ، ولعله استبدل السيارة بأخرى ، ولكن لو صح ذلك فلماذا يحرص على إزالة ما فى العربة من بصمات خاصة وإنها مسجلة بإسمه ولا يمكن أن يكون لديه من الأسباب ما يحمله على ذلك إلا إذا كان هناك سبب يحمل شخصاً آخر على إزالتها .

- هل تظن إن فى الأمر فخاً ؟

- يجب توقع كل شىء من ليمسون .

تظاهرت بأننى أفكر مليا فيما ذكره لى ثم سألته : - حسناً . إذا  
إفترضنا إن ليمسون جاء هنا ، وإنه ربما لا يزال هنا ، فما الذى  
يحملك على الظن بأننى أعرفه ؟ إذا صبح ما تقول عنه فأنا آخر من ...  
قاطعنى الرجل قائلاً : - هذه المدينة صغيرة أيها الشريف ، وأنت  
تعرف كل من فيها ، وتعرف كل غريب يأتى إليها .

قلت : - هذا صحيح . ولكن هذا موسم السياح . وفى هذا الوقت  
من السنة تأتىنا أفواج كثيرة منهم .

أجاب الرجل فى إعياء : هى فرصة أردنا إنتهازها على كل حال .  
وتبادل مع زميله نظرة فتوترت أعصابى . كان لابد أن أظاهر  
بالهدوء ، على الرغم من إننى لم أشعر بأى شىء منه . فقد اضطربت  
أفكارى وتملكتنى الهواجس بأن تونى إكتشف الخمسة والعشرين ألف  
دولار فى الأبواب ولم يذكر شيئاً عنها ، ثم جاء أتويل ليمسون بعد  
ذلك ، وتصورت هذا الأخير يأخذ غرفة فى الموتيل ، ويتكلم فى التليفون  
مع تونى ، ويخفى هذا النقود بالإتفاق مع مارفى ، ثم يذهب إلى  
الموتيل . وتصورته يقتل أتويل ليمسون ، اما قضاء مقدرا أثناء  
شجارهما ، واما عمداً . وتصورته يتخلص من الجثة ، ويمضى بسيارة  
ليمسون إلى سانت بول ، ومارفى تتبعه فى سيارة أخرى . ثم يوقف  
تونى سيارة ليمسون فى شارع غير مطروق . ويزيل ما عليها من  
بصمات . ثم يعود هنا هو وزوجته ، ورأيت تونى أيضاً شارد النظرات

فى صباح اليوم القالى ، يقول لى أن مفتاحاً إنجليزياً وقع على نافوخته ، وسمعت زوجته تكذب على .

- أيها الشريف ! ...

كان الرجلان ينظران إلى وقال الذى بدأ بالكلام : سنقوم بالتحري فى المدينة ، فمن الجائز أن نجد أحداً يعرف ليمسيون أو سمع عنه .

- هل أستطيع مساعدتكما ؟

- كلا . سنتدبر الأمر وحدنا . إنما أردنا فقط أن تعرف إننا هنا إذا ما إتفق وإكتشفت شيئاً ما .

وغادر المكتب فجفت جبينى وتنفست الصعداء ، فإن هذه اللعبة التى قمت بها لم تكن تبشر بالخير ، ومع ذلك فقد ربحت .

وخطرت ببالى فكرة أخرى وهى لماذا لم يستفهم هذان الرجلان عن برادستون ، وعن الحادث الذى وقع له . إذا كانا يعرفان كل هذه الأمور عن ليمسيون ، أفليس مغلى هذا أنهما يعرفان كل شىء عن برادستون كذلك ؟ ... وإذا صح هذا اما كانا يعرفان أن برادستون وقع له حادث وإنه مات .

وقلت لنفسى : - كان لابد أن يسألانى عن برادستون ، وأزعجنى هذا . كان يجب أن أحدثهما أنا عن ليمسيون ، فقد كان من اليسير عليهما أن يكتشفا أين توجد السيارة المحطمة ، فإنهما سيذهبان إلى جراج تونى . وسيحديثهما هذا الأخير ، إذا كان بريئاً ومن غير أن

ينتظر إستجواباً عن زيارتي أنا ولیمسون له ، وعن قصة الخمسة والعشرين ألف دولار ، ومن ناحية أخرى إذا كان تونی قد أخفى النقود وقتل لیمسون فلن یقول لهما كلمة عن برادستون بالطبع .

وفي الساعة الخامسة ، وهي ساعة إغلاق المكتب أحسست بأننی أحسن حالاً ، فإن الرجلین لم یعودا . وقمت بجولة فی المدينة لم أرهما فیها ، فإنطلقت فی الطريق المؤدی إلی البحيرة ، وكانت عوامة تونی تقع علی مقربة من الجزيرة الوحيدة ، وجلست لحظة علی الشاطئ أحرق بعینی فی العوامة . كنت غیوراً ، علی الرغم من إننی لم أكن أرید التظاهر بذلك ، فإن هذه العوامة كانت بمثابة بیت آخر لمارفی أثناء الصيف ، وقد بناها تونی بنفسه . كانت كبیره وتقوم علی عدد من الیرامیل ، وتربطها بالشاطئ سلاسل متینة ، ویؤدی إلیها جسر ضیق من الخشب ، وبها مصابیح تضاء بالبترویل ، وقبة من القماش تغطی نصف مؤخرتها ، وكانت مارفی ، عندما تتعب من السباحة تتمدد فی الظل علی مقعد مستطیل تكسوه الوسائد . وكان هناك أيضاً موقد یعمل بالغاز وثلاجة صغيرة یحتفظ فیها تونی بشتی الأطعمة وبزجاجات البیره .

كان كل ذلك یدمی قلبی ، فقد كان فی مقدوری أن أهیء لها كل

هذا .

وعدت إلى المدينة ، ورحلت أتجول بالسيارة هنا وهناك ، حتى رأيت  
تونى يعود إلى جاراحه فى الساعة الثامنة . وانتظرت عشرين دقيقة  
أخرى ثم دخلت . وعلى الفور حسب أننى أتيت بسبب عطب ما فى  
العجلات التى إستبدلها بسيارتى . ولكننى طمأنته من هذه الناحية  
وحدثته عندئذ عن مندوبى الخزانة اللذين أتيا لزيارتى .

وكانت رأس تونى داخل إحدى السيارات ، وكان قد رفع  
الكاربيراير فلم أر وجهه وهو يسألنى قائلاً : - ماذا كانا يريدان ؟  
قلت له كل شيء دون موارد ، وكنت إنتظر منه رد فعل عنيف ،  
ولكنه لم يبد غير شيء من الفضول فقال :

- يبدو أن ليمسون هذا رجل له شأن ؟

قلت فى حرص : - نعم . يبدو أنه كان كذلك .

نظر إلى فى حدة وقال : - كان ؟ .. ماذا تعنى ؟

هزئت كتفى وقلت : - أعنى ما أقول يا تونى ، وذلك بسبب ما ذكره

هذان الرجلان عن شكوكهما وعن الفخ وعن كل شيء .

- إن من يسمعك يا شارلى يعتقد أنك تمحو هذا الرجل الغريب من

خريطة الأحياء .

- يخامرنى إحساس بأن رجلى الخزانة يعتقدان ذلك .

- لا شيء إلا لأنهما وجدا السيارة التى كان يقودها ؟ ... لعله فطن

إلى أمرهما ، وخطر له أن يخدعهما ، فتركها حيث هى وهرب .



- هذا جائز .

-- ألم يلقيأ أى سؤال عن برادستون ؟

- كلا .

- إنهما لم يأتيا هنا أيضاً . ومعنى هذا أنهما لا يعرفان شيئاً عنه .

- إنك لم تكن هنا بعد ظهر اليوم يا تونى ، أليس كذلك ؟ ... إنك

كنت فى البحيرة .

إننى لم أخرج من هنا قبل الساعة الرابعة وأنا ذاهب إليها الآن .

قلت : - كان أمامهما الوقت الكافى لكى يأتيا هنا ولكن لا ريب

أنهما لا يعرفان شيئاً عن برادستون حقاً .

- ولكن كيف إستطعت أن تخفى عنهما ان ليمسون كان هنا يا

شارلى ؟ إن ذلك الرجل لم يأت هنا ليتحدث معنا عن النقود فحسب .

وأصبحت أنت متشككاً ، وفجأة لم تعد تثق بى ، ومع إنك تعرفنى منذ

الأيـد . وقد أتيت هنا فى اليوم السابق وذهبت لزيارة زوجتى وبدا عليك

إنك لا تصدق قصة المفتاح الإنجليزى ، وقلت لما رفى إننى ذهبت إلى

موتيل هايواى مساء يوم الثلاثاء ، وإننى تشاجرت مع ليمسون . وإن

من الجنون أن تظن ذلك . ولكن لعل الخطأ فى كل ذلك سببه وظيفتك .

فأنت مضطر إلى موازنة المستحيل وغير المعقول . وإذا بغير المحتمل

يصبح حقيقة فجأة .

أجبت : نعم يا تونى . الأمر كذلك أحياناً .

- ولهذا السبب تظن إننى عثرت على النقود فى السيارة المحطمة ،  
أليس كذلك ؟

- هل هذا صحيح يا تونى ؟

نظر إلى وجهها لوجه وقال : - كلا .

كان تونى سكالى كذابا كبيرا . كان بمقدوره أن يقنع شخصا آخر  
غيرى . ولكنه لم يفلح معى ، لأنه للمرة الثانية جاء ذكر معركة ، فى حين  
إننى لم أكتشف لأحد ما عرفته عن ليمسون فى غرفته بالموتيل .

وخلال الأيام التى تلت كنت أنتظر مكالمة من مواطن يكون قد علم  
بشيء ما ، واستمرت فى البحث ، وحاولت أن أرى رجلى الخزانة  
ورحت أتحرى لمعرفته إذا ما كان تونى ومارفى سكالى يتفقان أكثر من  
العادة ، ولكننى رحت أنقب على وجه الخصوص هذه المكالمة التليفونية .  
فقد كنت أتصور إنه أن عاجلاً وإن أجلاً قد يكتشف أحدهم جثة فى  
مكان بعيد عن البحيرة ، وإن تكون هذه الجثة جثة أتويل ليمسون .

وجاءت المكالمة التى كنت أنتظرها بعد وقوع حادثة برادستون بثلاثة  
أسابيع . وكانت الساعة عندئذ السادسة والنصف ، وصحوت من نومى  
على رنين جرس التليفون . وسمعت فى نهاية الخط صوتاً منفعلاً يكاد  
يكون هستيرياً ، ولكن كان ذلك الصوت صوت مارفى سكالى ، وكانت  
موجودة فى الجاراج ، وقالت لى إن تونى مات .

فتحت لى مارفى الباب الكى تدعنى أدخل ، ثم أغلقته وأسرعت

وارتمت على صدرى ، وراحت تبكى بحرقة . وكانت ترتدى بيجامة وثوباً  
مكشوفاً شفافاً لا يخفى أى منهما حرارة جسدها الذى كان يرتعش  
وهى تتشبث بى . ووثب قلبى بين ضلوعى وهو يحس بحرارتها .  
وأخيراً رفعت رأسها . كان يبدو على ملامحها الأعياء . ولم تكن  
شفتاها مصبوغتين . وكانت عيناها قد جفتا ، ولكن آثار الدموع كانت  
لا تزال على وجنتيها وتمتمت تقول : « شارل .. أواه يا شارل ... إنه ...  
إنه مات » .

— أين هو ؟ —

ولم أكن أريد أن يكون صوتى بمثل هذه الغلظة . وارتدت مارفى  
خطوة إلى الوراء ، وأخذتني من يدي ، ومضت بى إلى مؤخرة الجاراج  
، ورابت إحدى السيارات ، وكانت بدون عجلتيها الأماميتين وأدركت حتى  
قبل أن تألف عيناى المنظر ، فقد كانت مرتفعة عن الأرض قليلاً فوق  
رافعة ، وعرفت إننى إذا نظرت تحت محورها فسأجد تونى ممدداً  
تحتها . ووجدته هكذا فعلاً وقد تناثر حوله بعض الأدوات وتهشمت  
رأسه كانت القصة التى روتها مارفى تبدو معقولة ، فإن تونى عمل فى  
الجاراج إلى وقت متأخر ، أما هى فقد شاهدت التليفزيون ، وتكلمت  
بالتليفون مع تونى فى الساعة الحادية عشرة ، ثم أوت إلى غرفتها ،  
وكان هذا ما يتم تقريباً كل ليلة ، ولكن عندما إستيقظت فى الصباح  
وجدت نفسها بمفردها ، وكان فراش تونى يدل على أنه لم يقض ليلته

فيه ، فاتصلت بالجراج على الفور . وعندما رأت ان أحدا لا يرد عليها بدأت تشعر بالقلق ، ثم إكتشفت زوجها .

أصغيت إليها ، وأنا أراقبها بعناية ، دون أن يظهر على ذلك ، كان يبدو إنها لم تغادر الفراش منذ وقت طويل ولم أجد على يديها أو على ثوبها من الدم ما يمكن أن ينم عن كذبها . ومع ذلك فقد لحت على فكرة واحدة وهي ألا يمكن أن تكون قد أتت إلى الجراج فى أى وقت من الليل . وإن تكون قد ضربت زوجها على رأسه بألة حادة .

لم ترق لى هذه الفكرة أبداً . ولكننى رأيت من ناحية أخرى إن فتاة يمكن أن تكون إشتراك فى إرتكاب جريمة قتل ، وإستطاعت أن تخفى جشعها بمهارة ... فتاة شابة فى مقتبل العمر ، أعيائها الزواج برجل يكبرها سنأ بكثير يمكنها أن تذهب بعيداً بخمسة وعشرين ألف دولار .

ودفن تونى صباح يوم الجمعة ، وكانت جنازته مهيبة سار فيها معظم أهالى المدينة . ورافقت مارفى ، وجلست بجوارها فى الكنيسة ، وفى الوقت الذى وذى فيه التراب لم أتركها لحظة واحدة . وكانت لا تبكى ولكن منظرها كان يشق على الجميع . وكان وجهها شاحباً على الرغم من السمرة التى إكتسبتها من شمس الصيف ، وعيناها المنقطتان باللون الأخضر ضاع بريقهما .

وحبست نفسها فى بيتها بعد الفراغ من الجنازة على الفور ، ولم نرها من جديد فوق العوامة إلا بعد عشرة أيام . وأبدت فى تعاملها مع الناس تحفظاً كبيراً ، وعلى الرغم من إنها اضطرت إلى الخروج من

بيتها لمقتضيات الحياة التي لا بد منها ، فإن أحداً لم يرها إلا بعد ظهر كل يوم على سطح عوامتها . وكانت تستلقي فوقها وتعرض جسدها لأشعة الشمس ، وكانت ترتدى في بعض الأحيان ثياب الغطس ، وتغطس حتى قاع البحر . وكان الصيادون والمعجبون الذين يغنون الآمال الكبار وهم يشاهدون هذه الأرملة الشابة يصطدمون بطباعها الباردة الغامضة ، وكان الرجلان الوحيدان اللذان يحظيان منها بقليل من التفاعل هما السمسار الذي باع لها الجاراج وأنا نفسي ، لأنها كانت تعتبرني صديقاً مخلصاً .

وكنا قد بدأنا الأسبوع الرابع من شهر أغسطس . وكانت مارفي لا تظهر كثيراً فوق عوامتها في تلك الأيام الأخيرة ، ولكن الجو كان شديد السخونة في ذلك اليوم ، فأخذت ثوب البحر ومضيت إلى البحيرة ، وإذا وصلت هناك بقيت مدة طويلة جالسة على الرمل أنظر إلى الماء المتلألئ وأنا أناقش أمراً في قرارة نفسي ، وكانت مارفي مستلقية على صدرها على سطح العوامة تحت أشعة الشمس ، ونهضت أخيراً ، وأخذت زورق الخدمة ، ومضيت إليها . وكانت جالسة وقد أحاطت ركبتيها بذراعيها ، وعندما لمست العوامة كانت تبتسم . كانت هذه أول مرة أرى إبتسامة حقيقيه على وجهها منذ موت توني .

وربطت زورقي ، ووثبت إلى العوامة . كانت مارفي جميلة في ثوب البحر وكان من قطعتين . وقسمات وإنحناءات جسدها كانت فاتنة ، وبشرتها السمراء المدهونة بالزيت تتألق . وكانت لا تزال تبتسم وهي تضغط على يدي في سرعة قائلة . صباح الخير يا شارلي .

قلت مبهور الأنفاس قليلاً وأنا أبادلها إبتسامتها : - حسناً ، ها  
أنت خرجت من قوقعتك أخيراً .  
أجابت : - من أجلك أجلس .  
- أفضل أن أستحم أولاً .  
- سأتى معك .

ونهضت بحركة رشيقة ، وأحسست برغبة مجنونة فى أن أضمها  
بين ذراعى ، ولكننى تحولت عنها وغطسنا معاً فى الماء الدافئ ،  
وأخذنا نسبح بضع لحظات فى ظلام الأعماق ، وخيل لى إننى أرى ظلاً  
فى القاع ، وعندما عدت إلى سطح البحر إصطدمنا معاً أنا ومارفى ،  
ولم يكن فى رأسى فى ذلك الوقت غير فكرة واحدة .

ورأتها فى عينى ، ولم تشعر بأى غضب لذلك ، ولكنها إبتعدت عنى  
وهى تضرب الماء بيديها كما لو كانت تلعب وراحت تسبح بسرعة ،  
وصعدت فوق العوامة ، وجلست على حافتها ، ووجهها يطفح سعادة  
وبشراً ، ومدت لى يدها تعاوننى على اللحاق بها ورفعت جسدى وبحركة  
سريعة جلست بجوارها . وكانت تبدو مسلوبة اللب وقالت :

- لأول مرة يا شارلى ، منذ وقت طويل أحس إننى عدت كما كنت  
قبلاً .

- مارفى

أدارت رأسها نحوى فى حدة ، وقد تلاحظت إبتسامتها ، ثم بحثت



عن أصابعى وضغطت عليها فى هدوء وهمست - أرجوك يا شارلى ،  
لا تقل شيئاً لست مستعدة لكى أسمعك . بعد ثم إبتسمت فجأة  
من جديد وربتت على ذراعى فى ود ، ونهضت قائلة - ما قولك فى  
زجاجة من البيرة

سرى إلى مرحها وقلت ولكننى لا أستطيع الشراب فى مواعيد  
العمل الرسمية

قالت وهى تتمدد تحت أشعة الشمس -- أوه . لا تكن سخيلاً .  
هناك زجاجات كثيرة فى الثلاجة فافتح لنا زجاجتين فإننى لم أشرب  
بيرة منذ أسابيع

لم يكن هناك ما يمنعنى من شرب هذه البيرة . وتمددنا جنباً إلى  
جنب ، وأخذنا نحتسى المشروب المثلج فى جرعات صغيرة . وعرفت  
مارفى عندئذ معرفة وثيقة ، وتبادلنا ، أخيراً شيئاً لا يستطيع أى شىء  
أن يؤثر فيه ، ولا حتى ذكرى زوجها الميت .

ثم فرغنا من البيرة . وكانت الشمس الحارة قد جففت جسدى ،  
وخفت أن تؤثر حرارتها فى فالتفت إلى مارفى وقلت :  
-- ما رأيك فى أن نسيح ثانيه

أجابتنى والنوم يغالبها : - كلا أذهب أنت وسانتظرك هنا .  
وغطست إلى أعماق البحر . إلى أعماقه السحيقه . ووجدت  
نشقة فى الصعود إلى السطح ، ورحلت أعوم وإذا تبته واقف ، وإزدادات

ضربات قلبي ، ولكن لم يكن سبب ذلك العوم فحسب ، فقد رأيت مرة أخرى ذلك الظل ... الظل الغامض الذي ما كان يجب أن يكون موجوداً في ذلك المكان ، وفي حرص التفت لى أنظر إلى العوامة ، كانت مارفى مستلقية على صدرها ، وقد دفنت وجهها في يديها الملتويتين ، ولم تكن مهنمة بى . ووددت لو أن أصعد إلى العوامة ، وأرتدى ثياب الغطس ، ولكنى كنت أعرف إننى سأنثر شكوكها بعملى هذا ، فأخذت نفساً طويلاً بقدر ما إستطعت ثم غطست إلى الأعماق مرة أخرى ، وبلغتها بأسرع ما يكون ، ورأيت الظل مرة أخرى ، ودرت حوله ، وهكذا إكتشفت سرتونى ومارفى سكالى .

كان الصندوق صغيراً ولكنه كان ثقيلاً من غير شك . وشككت فى أن سكالى هو الذى صنعه بنفسه .

وعدت إلى السطح مسرعاً ، وكان صدرى يكاد ينفجر ، وأطرافى تؤلنى ، ورحت أبحث عن الهواء ، وأنا أغالب إحساس الدوار الذى أخذ ينتابنى ، ثم نظرت ناحية العوامة ، والتقت عيناي بعينى مارفى ، وبدا لى كأن وجهها قد من حجر .  
ذلك إنها فهمت .

وتعلقت بالعوامة دون أن أفارقها ببصرى . هل ستنتهز فرصة وجودى فى الماء وتهجم على ؟ ... هل معها سلاح .

ولم تتحرك وأنا أتسلق العوامة . لم يكن معها سلاح . ولم يسعنى إلا  
أن أصدق فى عينها فقالت فى هدوء :

- وقع الأمر كما تظن تماما . كان أحد الأبواب مهشما فكشف عن  
النقود . وتكلم ليمسون بالتليفون من الموتيل . عرض علينا صفقة .  
قال إنه سيعطينا خمسة آلاف دولار ، وإنه لن ينطق بشيء . على شرط  
أن يعيد تونى إليه النقود . ومضى تونى فى وقت مبكر إلى الموتيل ، ولا  
أعلم كيف ولا أين قتله . وكل ما أعرفه هو إنه إتصل بى تليفونيا .  
وأخذنا سيارة ليمسون حتى سانت بول ، ثم عدنا هنا . وأخفينا الجثة  
فى الصندوق الخلفى بإحدى السيارات الموجودة بالجراج حتى فرغ  
تونى من صنع الصندوق ، ثم نقلنا الإثنين هنا أخيراً أثناء الليل . وأنت  
قد رأيت الصندوق . أما جثة ليمسون فمدفونة فى الجزيرة .

- وتونى ؟

- كان حادثاً يا شارل .. وأقسم لك على ذلك .. يجب أن تصدقنى .

ومع ذلك فلم أصدقها ، وسألتها : - كم يوجد فى الصندوق ؟

- المبلغ كله . خمسة وعشرون ألف دولار ... كلها من فئة العشرين

دولار . وقد وضعها تونى فى أكياس من النايلون ، بكل كيس ألف دولار

. ماذا سيقع لى الآن يا شارل ؟ ... ماذا ستفعل بى ؟ .. هل تلقى

القبض على ؟

لم يكن الوقت وقت تفكير ، ولو إننى ترويت وفكرت فربما ما كنت لأفعل ما فعلت .

قلت :

- مافى ، يمكننا أن نتزوج بعد ستة شهور ، وهذا الوقت يكفى لكى أغازلك علانية .

أقلقتها كلماتى ، ورأيتها تتوتر ، واتسعت عيناها شيئاً ما ، ثم ضاقتا من جديد ، وحدثت فى بعينين قاسيتين وكنت أعرف ما يدور فى رأسها ، وقلت : - ولكن على شرط .. أريد أن تعطينى ستة آلاف دولار الآن فوراً ، فهناك بيت أريد شراءه ، وسنقيم فيه معاً .

قالت متلعثمة : ستة ...

ثم سكنت معترفة بذنبها .

وحدثتها عندئذ عن البيت وعن النقود التى إقتصبتها ، وراحت تصفى إلى فى إهتمام ، ولكن وجهها ظل جامد الأسارير ، وتسألت هل تستطيع أن ترفض وأن تتحدانى ؟ ومهما يكن فهل كانت تعرف إننى لا أستطيع شيئاً ضدها .. لا إتهامها ولا القاءها فى السجن ؟ هل كانت تدري أن باستطاعتها أن تفر بالنقود ، وإننى لن أستطيع الإهتمام إليها أبداً لكى أضعها أمام رأى العام ؟

وفجأة ، وبدون أن تنطق أرتدت ثياب الغطس وألقيت بنفسها فى الماء ، وبقيت تحته مدة طويلة ، وصعدت أخيراً وتقدمت نحوى وألقت ستة أكياس من البلاستيك عند قدمى ، وساعدتها على تسلق العوامة ، ورفعت عنها أنبوبة الهواء ، ونفضت الماء عن شعرها ، ثم تقدمت ووقفت أمامى تنظر الى وقد إرتسمت على شفتيها إبتسامة وقالت فى صوت منخفض :

- ألا تظن إنه يجب أن تقبل زوجتك المقبلة ؟

كانت خطتى سهلة ، ففى خلال الثلاثة أسابيع التالية ظهرت معها فى كل مكان منعا للثرثرة ورويت قصة عمّة لى ماتت فى لوس أنجليس . وسافرت إلى كاليفورنيا ، وقضيت فى لوس أنجليس أسبوعاً احضور الجنازة المزعومة ، ثم عدت ومعى ميراث صغير أى ستة آلاف دولار من فئة العشرين دولار ، وقلت أن عمّتى من هؤلاء الأشخاص الذين لا يثقون فى البنوك ، ويحتفظون بأموالهم سائلة تحت يدهم . وفتحت حساباً لى فى البنك أودعت فيه الستة آلاف دولار ، ثم سحبتها من جديد فى اليوم الذى إشتريت به البيت عن طريق نفس السمسار الذى باع جاراج تونى .

وملأنى الطرب ، وشعرت بإتنى أكاد أطير من الفرح حتى ذلك اليوم الذى دخل فيه أحد مندوبى وزارة الخزانة اللذين أعرفهما مكينى ، وكان

يوم أربعاء . وكان يرافقه رجل غريب قدمه لى على إنه من رجال  
البوليس الفيديرالى وكانا يجران مأرفى ، وكانت تبدو مذعورة ، وفهمت  
السبب عندئذ طلب مندوب الخزانة التسعة عشر ألف دولار وقال :

- كان يرادستون قد باع شحنة من الأسلحة لعصابة فى فلوريدا  
لحساب ليمسون . وقد ألقينا القبض على أكثر أفراد هذه العصابة .  
وقد قبض برادستون ثمن هذه الشحنة نقداً ، حصل عليه أصحابه من  
سطو على أحد بنوك ميامى . وعلى أثر هذا السطو نشر البنك أرقام  
الأوراق المالية ، وكلها من فئة العشرين دولار . وقد إنتقلت بعض هذه  
الأوراق منذ نحو خمسة عشر يوماً إلى أحد بنوك مدينة سانت بول .  
أرسلها إليه بنك هذه المدينة ، وقد تذكر البنك إنك أودعت هذه الأوراق  
حسابك أخيراً . لا فائدة من الإنكار أيها الشريف .

نظرت إلى مارفى ، كانت متوترة الأعصاب ترتعش وتبدر على وشك  
الإنفجار .

واستطرد المندوب يقول : - ونحن نعرف كيف أن ليمسون جاء هنا  
وإنه التقى بك . وعندما أتيت منذ بضعة أسابيع قلت لك أننا سنقوم  
ببيع التحريات . وهذا ما فعلناه . وبين الأماكن التى نتحرى فيها  
عندما نبحث عن أحد توجد الموتيلات والفنادق وأحد هذه الموتيلات فى  
المدينة تديره مسرة هولمز . وقد حدثتنا عن القزيل الذى إختفى فى

ظروف غريبة ، وعن المكالمات التي تمت بينها وبينك . وقد أخبرتنا  
أيضاً أنك كنت تعرف هذا النزيل .. وإسمه ليمسون .  
يذا كأن مارفى تريد أن تقول شيئاً . وإنفتح فمها ولكن لم يصدر  
منه أى صوت .

قال الرجل : - كان لابد لنا أن ندعك تضع الحبل حول عنقك أيها  
الشريف . ونحن نفترض الآن أنك إكتشفت أنت ومسترسكالى النقود  
المخبوءة فى السيارة المحطمة ، ولم يشر أى منكما إليها . ثم جاء  
ليمسون وطالب بنقوده ، فأضطررنا إلى التخلص منه ، ثم كان الدور  
عليك أنت والفتاة فتخلصتما من الزوج .

صحت محتجاً : - كلا ..

وهزت مارفى رأسها بدورها . كانت جالسة متوترة معتدلة القامة .  
وفجأة إنكسر شئ فيها وإنهارت وندت عن صدرها شهقة .

ولم أستطع أن أصدق أذنى ، فقد تمتمت :

- إنهما وجدا النقود ... هو وزوجى ... كانت فى السيارة . ثم جاء  
ليمسون هنا فقتلاه ، ثم قتل شارلى تونى بعد ذلك . قتله فى الجراج  
بقضيب من الحديد . والنقود فى قاع البحيرة . ستجدونها هناك  
وستجدون جثة ليمسون مدفونة فى الجزيرة .



صرخت أقول إنها تكذب ، ولكننى كنت أعرف فى تلك اللحظة من  
منا الذى يستهمونه بالسرقة والقتل ، ومن الذى سيعتبرونه شريكاً ...  
كنت أعرف من سيديتونه ويمضون به إلى غرفة المحكوم عليهم بالإعدام  
ومن التى ستعيش حتى إذا كان ولا بد لها أن تقضى بقية حياتها فى  
السجن .

ولم يسعنى إلا أن أمضى معهما .



## جريمة أم

وصلت بعد قوات الأوان . وقد عرفت ذلك من سيارات بوليس مدينة  
لوس أنجلوس السوداء والبيضاء التي تقف أمام البيت . وبينما كنت  
أوقف سيارتي ، وقفت سيارة أخرى هبط منها داف بايك ، الرقيب  
بالبوليس الجنائي . وكنا قد إشتراكنا في العمل معاً منذ بضع سنوات ،  
وكان ذلك قبل أن نختلف أنا وأولو الأمر . على طريقة إجراء  
التحقيقات ، وغدوت الآن مخبراً سرياً .

ورأى داف أهبط من السيارة فقال لزميله الجديد ان ينتظره ، ثم  
إقترب منى لكى يتحدث إلى .

- صباح الخير يا ستونبريكر . لا تزعم أنك كنت تمر صدفة .  
- كلا . إنتى أتيت من أجل العمل . فإن عميلاً لى يهتم بالرجل  
الذى يقيم فى البيت الذى ستمضى إليه .

- أتعنى روبين فاسكيز ؟

- هذا هو اسم الرجل .

- فى مقدور عميلك أن يتخلى عن إهتمامه به . فقد مات فاسكيز .

ومضى داف إلى الطرقة المؤدية إلى البيت الأبيض الجميل  
فسأله :

- هل هناك مانع من أن أرافك ؟

- هل يمكن أن تفيدنا ؟

- وما أدراني ؟

وتبعت داف حتى المدخل ، وكان البيت صغيراً ونظيفاً ، كجميع  
البيوت التي تقع في حي السيرنيو ، والناس الذين يعيشون فيها من  
المكسيكيين الأصليين ، ويفخرون بإنتمائهم إلى المكسيك .

وكان هناك بداخل البيت بعض رجال البوليس ، وبعض المصورين  
والفنيين الذين ينتمون إلى إدارة الشخصية ، ورفقتهم شاب ملحق  
بمكتب قاضي التحقيق .

وكانت هناك أيضاً ، وبطبيعة الحال جثة .

ققد كان هناك رجل متهاك فوق مقعد من البلاستيك والمعدن ، في  
وسط غرفة المعيشة ، وكان وجهه ، في الأماكن التي يظهر منها اللحم ،  
تحت الدم المتجمد أزرق اللون . وكان المقعد وسط بركة حمراء لوثت  
السجادة الرمادية . وكان مساعد القاضي قد فرش بضع جرائد فوق  
السجادة لكي يستطيع أن يقترب من الجثة . وكان الدم قد تسرب إلى  
بعض مواضعها .

قرأ داف بايك ، فى دفتر بسطه إليه أحد رجاله : القتل يدعى روبن فاسكيز ، فى الساعة والثلاثين من العمر ، يقيم فى هذا البيت ولا يزاول أى عمل . وقد إكتشفت الجثة زوجته ليندا فاسكيز وإحدى جاراتها ، وتدعى مدام نونا هيريرا ، وسبب الموت ...

ونظر الرقيب إلى مساعد قاضى التحقيق ، وكان يدور فى حرص حول الجريدة المبتلة ، فقال :

- نزيف إبتدأتى ناتج عن عدة طعنات من خنجر ، وأكثر الطعنات التى بالوجه والصدر سطحية ، ولكن يمكنك أن ترى ، فى أعلا الذراع ، القطع الذى أحدثه الخنجر فى شريان الساعد .

قال داف : - أنه نزف حتى الموت .

هو ذلك ، وقد إستمر قلبه يدق حتى فرغ الدم من شرايينه فمات .

- وكم من الوقت يلزم لحدوث هذا ؟

- ساعة . وربما ساعتان ، فالموت فى مثل هذه الحالة لا يقع سريعاُ كما يحدث عادة عند قطع شريان الفخذ .

ولم أشأ أن أنظر إلى الميت أكثر من ذلك ، ولهذا عبرت الغرفة وأنا أحرص على تجنب البركة الحمراء ، وألقيت نظرة إلى باب يفضى إلى غرفة النوم ، كانت هناك امرأة سوداء العينية ، جالسة على الفراش ، شاردة النظرات وأمامها إحدى نساء البوليس ، تعاونها على إحتساء

قدح من القهوة ... وأدركت إنها الأرملة ، وكانت قد تجاوزت سن الجمال  
ببضع سنوات . ولكن وجهها كان لا يزال يحتفظ بلامح الهندية ورقة  
الأسبانية . وهما سمتان يكسبانها جمالاً مثيراً إلى وقت طويل .

وانضم داف بايك إلى وقال :

- هل لك أن تذكر لى رأيك فى كل هذا ؟

لزمت الصمت دقيقة أو دقيقتين ريثماً اتخير المعلومات التى أرى أن  
أقدمها له . كان يجب أن أرد على أسئلة داف طبعاً ، ولكن فى حدود  
الثقة التى يولبنى إياها العملاء الذين يلجأون إلى ، ولولا إهتمامى بهذه  
النقطة لما أصبت أى نجاح فى عملى ، فأن الناس يحرصون عادة على  
الإحتفاظ بأسرارهم .

قبل ذلك بساعتين جاعنى ذلك الرجل المسن إلى مكتبى ، ويقع فى  
حى الأعمال بلوس أنجلوس ، وجلس أمامى فى هدوء ووقار بينما رحنا  
نناقش مسألة الأتعاب . وأتعابى ليست مرتفعة ، ولكننى لا أعمل مقابل  
لا شيء . وكان الرجل المسن يدعى أنطونيو فاسكيز ، وقد أخبرنى  
بسبب قدومه قائلاً : - إنتهى أتيك بسبب أبنى ، إنه وقع فى متاعب مع  
المافيا المكسيكية .

سألته : أى نوع من المتاعب .

إعتدل الرجل العجوز فى جلسته ، وألقى نظرة من خلال النافذة  
وقال فى مشقة : - إن أبنى مرشد ، وقد أرشد البوايس إلى بعض

المجرمين فى سوليداد نظير إطلاق سراحه . وهو طليق الآن ، ولكن هؤلاء الأوغاد يعرفون ما فعل . وقد أصدرنا أوامرهم بمجازاته . وكنت قد عرفت كيف تجازى المافيا المكسيكية الخائنين . وهم يسمون طريقتهم هذه بصيد الحمام ، والضحايا الذين يموتون محظوظون حقاً .

وسألته على العموم : هل تريد أن أخطر البوليس ؟

تأملت عيناه بالازدراء وقال :

- ولماذا ؟ ما هو إلا مكسيكى بالنسبة لهم ، ولا يضرهم إذا نقص المكسيكيون واحداً أو إذا زادوا واحداً ، ولكنه بالنسبة لى إبنى الوحيد .  
- وما هى نواياك ؟

- أن تخطره بالخطر الذى يتهده . إننى رجل مسن وضعيف ، وسوف يسخر من مخاوفى . ولكنه يعرف إسم ستونبريكر ، وسوف يصفى إليك .

لم أكن واثقاً من ذلك ، ولكننى لم أناقشه .

ونهض الرجل العجوز وصقل بنطلونه ، ولم يكن متجانساً مع جاكته . ثم غادر المكتب .

وعندما ذهبت بسيارتى إلى بيت روبن فاسكين لم يكن فى ذهنى غير برنامج مبهم . هو أن أحمله على مغادرة المدينة بعض الوقت . ولكن ، حين رأيت سيارات البوليس أدركت أنه لم يعد هناك أية أهمية لهذا ، فقد وصلت بعد فوات الأوان .

ووقفت الآن بجوار داف بايك ، أمام جثة روبن التي إستحال لونها  
إلى اللون الأزرق . وخطر لى إننى مازلت أستطيع إكتساب أتعابى  
بالقبض على قاتليه .

وقال داف فى إصرار : حسناً يا ستونبريكر ... ما الذى تعرفه ؟  
رويت له قصة المافيا المكسيكية ، ولم أخف عنه إلا إسم عميلى .  
فإن البوليس سوف يتصل به بعد قليل . ودون داف بعض الملاحظات  
وهو يصغى إلى . وسألته :

- هل تعرف سوابق روبن ؟

- إنه كان وغدا ... إعتداءات ، ومخدرات ، وسوء معاملة للأطفال  
وما إلى ذلك ... وإذا أردت الحق فإن المافيا المكسيكية قدمت خدمة  
جليلة للمدينة :

عادت كلمات أنطونيو فاسكيز إلى ذهنى ، فسألته :

- هل تتوى أن تستمر فى التحقيق ؟

توترت عضلات وجهه لحظة ثم قال فى لهجة جافة :

- سنفعل تماماً كما نفعل إزاء كل جريمة قتل .

كان داف بايك شرطياً شهماً ، وكان يتكلم بكل جد ، وليس الذنب  
ذنبه إذا كانت إدارة البوليس لا تولى بعض القضايا ما يكفى من الوقت  
كغيرها .

سألته : - هل ستتحدث إلى الأرملة الآن ؟



- نعم ، ولن استبقيك أكثر من هذا إذا كان لديك ما يشغلك .

قلت :

- لا تغضب . قليل من العون من نحوى قد يفيد ، ولن أكلفك شيئاً .  
زمجر قائلاً : - حسناً ، إبق هنا إذن ، ولكن حاول أن لا تظهر كثيراً ، فإنك بجسمك هذا ووجهك الغريب قد تخيف الشهود .

وكان على حق فى هذه النقطة . ولهذا مضيت وإعتمدت بظهرى على الجدار ، فى حين طلب داف من ليندا أن تروى له ما حدث .

قالت : - هما إثنان ، جاء فيما بين الساعة الخامسة والسادسة ، بينما كنت أقوم بإعداد طعام العشاء ، وكان أحدهما يحمل سكيناً ، والآخر مسدساً . وأراد روبن أن يتفاوض ، ولكن صاحب المسدس ضربه به فلم يقل شيئاً بعد ذلك ، وقيد الرجلان روئين إلى مقعد ثم أولقنا يدي وقدمى ، ووضعنا شريطاً لاصقاً فوق فمى ، وحبسانى فى غرفة الحمام .

كانت عينا المرأة جافتين ، ولم يكن فى صوتها أى إنفعال وهى تروى قصتها ، واسترسلت تقول :

- وسمعت روبن يصرخ ، ولكن فى صوت خافت كما لو كانا قد وضعنا فوق فمى شريطاً لاصقاً هو الآخر . وبعد لحظة فتح الباب الأمامى . ثم أغلق من جديد . ولم أعد أسمع شيئاً فتحاملت على ركبتى ، واستطعت أن أنقل من مكسانى وأنا موثقة القدمين واليدين وبحث فى كل مكان من غرفة الحمام عن شىء حاد . ووجدت مقصاً

إستخدمته فى قطع قيودى أخيراً . ورفعت الشريط اللاصق عن فمى وناديت روبن ، ولكنه لم يرد . وكان باب غرفة الحمام موصداً من الخارج فوثبت من نافذتها ، وكانت جارتى ، مدام هيريرا ، واقفة خارج بيتها . فرأتنى وصحبتنى إلى الباب الأمامى ، ودخلنا ، ووجدنا ... ماتراه الآن . وأسرعت إلى روبن لعلنى أستطيع مساعدته . كان يبدو فى أسوأ حال ، ومع ذلك فقد أسرعت إلى الحمام لكى أبحث عن بعض الضمادات ، ولكنه كان قد فارق الحياة أثناء ذلك .

وطلب داف منها أن تصف له الرجلين ، فراحت تصفهما كما يفعل جميع الناس فى مثل هذه الظروف . كانا مكسيين ، معتدلى القامة ، كل منهما بدين الجسم . لا يميزه شىء خاص ، وليس فى ثيابهما أى شىء عادى . وخرجت من غرفة النوم ، فى حين راح داف يحاول أن يعرف منها المزيد .

كانت بعض أثار الأقدام ممتدة من روبن فاسكين حتى غرفة الحمام . حيث جرت ليندا لكى تبحث عن الضمادات التى لم يعد لها أى نفع . وخرجت من الباب ودرت بالبيت حتى بلغت الفناء الداخلى ، ورأيت على العشب القصير ، تحت نافذة الحمام أثرا لقدمين ملوثين بالأحمر ، هى قدماً ليندا الصغيرتين .

وفى الناحية الأخرى من البيت ، كان زميل داف يستجوب امرأة ضخمة متينة الجسم ، ذات حاجبين كثيفين وإقتربت بما فيه الكفاية لكى

أعرف أنها تدعى مدام هيريرا ، وأنها جارة ليندا . وإتفقت قصتها عن إكتشاف الجثة مع قصة ليندا فاسكيز . وعندما رأت إننى أصفى . قطبت جبينها ، فرددت عليها بابتسامتى الرقيقة التى تخيف الكلاب والأطفال . وازداد عبوسها ، فأبتعدت على الفور لكى يتمكن الشرطى من الإستمرار فى إستجوابه .

ورحت أتمشى إلى أن فرغ داف بايك من حديثه مع الأرملة . ثم خرجت معه إلى الشارع فى حين أخذوا ينقلون الجثة .  
وسألته : - هل وجدت شيئاً ؟  
- طبعاً . أن الوصف ينطبق على نصف الأهالى . وسأقبض عليهم فوراً .

قلت : - آه . أرجوك التوفيق إذن .  
- وأنت ؟ ... ماذا ستفعل ؟  
- سأبقى فى المكان قليلاً ، وسأتحدث مع السيدة .  
- ستونبريكر ... ألا تخفى عنى شيئاً ؟  
- أقسم لك بشرفى أنك تعرف بقدر ما أعرف أنا .  
حدق داف فى لحظة ثم هز رأسه وصعد إلى سيارته ، وإنطلق بها .  
وما أن أختفى رجال البوليس ، حتى خرجت مدام هيريرا من الباب المجاور ، فى خطوات ثقيلة ، ووقفت بداخل غرفة المعيشة ، كما لو كانت تريد أن تضيف حمايتها على الأرملة . واضطرت أن أتحدث إلى هذه الأخيرة من فوق كتفها .

- مدام فاسكيز ... هل رأى أحد آخر هذين الرجلين ؟  
- كلا . لم يرهما أحد غيرى . فإننى أقيم وحدى منذ أن اضطرت  
إلى إرسال ابنى لكى يقيم مع أختى . ولكنه سيستطيع أن يعود إلى  
البيت الآن .

- ألم يرهما أحد من الجيران ؟  
- لقد إستجوب البوليس جميع الأهالى بالشارع . لم يرهما أحد .  
وتكلمت مدام هيريرا عندئذ ، وكانت قد أصبحت تأنس إلى قليلاً ،  
منذ أن عرفت إننى لست من رجال البوليس . قالت :  
- لعل أولئك الصبية رأوا شيئاً .  
- أية صبية ؟

- هؤلاء المراهقين الذين يتسكعون هنا . كانوا فى الناحية الأخرى  
من الشارع ، ومعهم أدوات الطلاء . لعلمهم رأوا شيئاً .  
ودعت المرأتين واجتزت الشارع . كانت الشمس قد بدأت تغيب .  
وأوشك النهار أن يختفى . وعلى جدار الجاراج المقابل كانت هناك  
بعض النقوش المخطوطة بالطلاء الأحمر التى يتميز بها جيل اليوم  
من المراهقين . وكان هناك نقش قديم عبارة عن هذه الحروف ف . ن .  
١٣ . ١ . و . ف تشير إلى كلمة فارىو ومعناها « حى » . وحرفا ن .  
ا . يشيران إلى نويفا إسترادا ، أما الرقم ١٣ فيشير إلى الحرف  
الثالث عشر من الحروف الأبجدية وهو حرم الميم . ومعنى العبارة كلها  
هو « حى نويفا إسترادا » . أما الميم فأشارة إلى أن فتية الحى  
يدخنون الماريجوانا .

وركبت سيارتي ومضيت بها إلى مشرب بروننتو ، بشارع سان بنيتو  
حيث كنت أعرف أن فتية الحى يجتمعون هناك . وإعترض إثنان من  
المراهقين طريقى فى عدااء ظاهر ، وسألنى أحدهما :

- ماذا تريد أيها الجاسوس ؟

- أريد أن اتحدث إلى روجو .

- هل أنت شرطى ؟ - كلا ، إن إسمى ستونبريكر .

وبينما كان المراهقان يتشاوران ، خرج فتى من المشرب ، بوجهه  
نمش وله شعر أشقر ، ماكاد يرانى حتى أسرع إلى مبتسماً وقال :

- ستونبريكر ؟ ... ما الخبر يا صديقى ؟

وعندما رأى المراهقان إننى لست خطراً عليهم حولاً إهتمامهما إلى  
شئ آخر ، وعاد روجو يسألنى قائلاً :

- أية خدمة أستطيع أن أؤديها لك أيها الصديق .

وكننت قد تمكنت من إنقاذ أخته من موقف حرج قبل ذلك بعدة  
شهور . ولم يكن من الذين ينسون الجميل . وسألته قائلاً :

- ألم يكن بعض أصدقائك يقومون بكتابة بعض الرموز على أحد  
جدران شارع مالابار ، فيما بين الخامسة والسادسة من مساء اليوم ؟  
- ربما ، ولكن لماذا تسأل ؟

- هدىء من روعك يايريد . إننى لا أقوم بعملية تطهير . ولكن ربما  
رأى أصدقاؤك شقيين أثناء دخولهما بيتا على الرصيف المقابل . إذا  
كان هذا قد حدث فإننى أريد أن أعرف من هما .

- سأذهب للإستطلاع .

وإبتعد بضعة أمتار ، وتبادل الحديث مع بعض أصدقائه ، وكانوا يتكلمون باللغة الأسبانية العامية التي يتكلمها الأوباش . وعاد بعد قليل وقال : إنهم رأوا الرجلين فعلاً ولكن لماذا تبحث عنهما ياستونبريكر ؟  
إنهما أوثقا رجلا إلى أحد المقاعد ومزقاه بالسكين بعد ظهر اليوم .

- أهو صديق لك ؟

- كلا وإنما عميل .

- من الأوفق أن تتناسى أمرهما إذن ، فإنهما شديدا الخطر .

- ولكننى أهتم بالأشخاص الشديدي الخطر . من هما ياروجو ؟

- حسناً . هذا شأنك أنت على كل حال . إنهما الأخوان جازا ...

جواجنا شيو جازا ... المافيا الأسبانية ... إن تسرهما زيارتك .

- وأين أجدهما ؟

- فى بارويدوزو ... هل تعرفه ؟

- نعم . إلى الملتقى ياروجو .

- بل وداعاً .

وكان يبدو مهموماً .

ولو إننى كنت مواطناً طيباً لنقلت المعلومة إلى رجال البوليس .

ولبقيت منزوياً لا يعلم أحد عنى شيئاً ، ولكننى كنت أعرف ماسوف يقع

عندئذ ، فإن رجال البوليس سيستجوبون روجو ، فينكر كل شيء ،

ويبقى الأخوان جازا فى أمان ، وأفقد أنا صديقاً . ولهذا لم أتكلم مع

داف بايك فى التليفون .

ويقع بار رويدوزو فى مانجو ، على مقربة من شارع سوتو ، وبه صالة للعب البلياردو . وتركت سيارتى فى الموقف أمام البار ، ودخلت ، وكان المكان رائحة المراحىض .

وقلت لصاحب البار : - إننى أبحث عن الأخوين جازا .

أسرع الرجل يقول : - إننى لم أرهما .

ولكن عينيه كذبتاه ، لأنه ألقى نظرة سريعة إلى البلياردو ، فى آخر البار ، حيث توقف اللعب عند دخولى . وأتيت بحركة إلى الخلف ، فعاد الرجلان إلى اللعب على الفور . كان أحدهما نحيفاً كقطعة من الخيط ، ويلبس جاكّة زرقاء ونظارة طيار ، وأما الآخر فكان قصيرا وبدينا كالبرميل .

وانحنيت ، وأمسكت بكرة البلياردو فى نفس اللحظة التى سدد فيها ذو الجاكت الزرقاء مضربه وقلت :

- إننى أبحث عن الأخوين جازا ، فهل ترانى أتحدث اليهما ؟

وأنا لست بطيئاً فى العادة ، فإن البطء فى مهنتى هذه يمكن أن يكلفنى حياتى ، ومع ذلك فقد أبطأت هذه المرة أكثر من المعتاد ، عندما صاح النحيف : - أضربه يا جو .

وما كدت استدير حتى تلقيت ضربه شديدة على أم رأسى ، أفقدتنى الرشد .

عندما عدت إلى نفسى كانت هناك قدم فوق وجهى ، والألم الشديد يسرى فى صدغى وتتابع دقاته سريعة مع دقات قلبى ، وعندما



إستطعت أن أتغلب على ألمى رأيت إننى ملقى فى أرضية مؤخرة سيارة  
وإن السيارة سيارتى أنا بالذات وقد عرفت ذلك من صوتها المميز .

وفتحت عينى . ونظرت إلى أعلا . ورأيت أن القدم الذى فوق وجهى  
لجو البدين . وكان معنى هذا إن اجناشيو هو الذى كان يقود . وعرفت  
من الفراغ الذى تحت ذراعى أنهما أخذا مسدسى . ولا ريب أن جو  
كان بصوبه الآن نحوى .

وامتزت العربة عندما صعد اجناشيو بها فوق افريز ، ودلتنى طبيعة  
الأرض على إننا تركنا الطريق الممهدة .

وتوقفت العربة وهى تهتز بشدة ، وداست قدم جو على رأسى التى  
تؤلمنى ، وضغطت على فكى حتى لا أصرخ .

وجاء صوت اجناشيو من المقعد الأمامى للسيارة قائلاً :  
هذا هو أنسب مكان .

وخرج الإثنان من السيارة معاً ، وأخذ يجرانى من قدمى ليخرجانى  
منها . وكان من الواضح أن الخوف إستولى عليهما وإنهما ينويان قتلى  
ويريدان إستخدام سيارتى بعد ذلك للفرار ، وإلا لقتلانى فى البار .

ومن غير أن أبدى ما ينم على إننى عدت إلى الرشد تنأقلت .  
وعندما أخرجنا نصف جسدى خارج الباب دبوت أمرى بحيث شبكت كم  
سترتى فى الرافعة التى تستخدم لنقل المقعد . وقام جو جازاً  
بمحاولتين . عبثاً . ثم أطلق سبة بالأسبانية ، وأنحنى داخل العربة لكى  
يحرر كمى . وعندما أمسك بالكم رفعت يدى الطليقة وأمسكته من يده

ودفعتها فوق كتفى بكل ما أوتيت من قوة ، وابتسمت فى قرارة نفسى عندما سمعت عظمة كوعه تططق ويلتوى ذراعه إلى الخلف .

وصرخ جو جاززا لفرط الألم ، ووقع شىء ثقيل من يده الأخرى على ساقى ، واندفعت خارج العربة ، ورحت وأنا على أربع ، أتحسس أرضيتها فى الظلام ، ولم البث أن وضعت يدى على مسدسى . وإنقلب على ظهري ورأيت جو جاززا وقد أمسك سكيناً فى يده السلمية واندفع نحوى ، ومن خلفه اجناشييو وهو بصرخ فيه أن يخلى له الطريق .

ولم أجد وقتاً للاختيار فصوبت الجز الأكبر من جو جاززا الذى يهجم على وأطلقت النار . وزمجر جو عندما أصابته الرصاصة فى صدره ، وتجاوزنى ببضع خطوات ثقيلة قبل أن ينهار فوق العشب .

ودوى شىء خلفى ، فى غضب ، فتحولت لكى أرى اجناشييو جاززا يطلق الرصاص على ، كان يمسك فى يده مسدساً صغيراً ، إلا إنه كان يمكن أن يصيب مقتلاً ، وكان هذا آخر خاطر مر برأسى قبل أن يصيبنى اجناشييو واقع وفى فمى طعم الدم .

وإذا نحن صدقنا الجمهور تكون رأسى من الجرانيت ، وهذا غير صحيح لأنه أصيبت فى نفس الليلة بضربة ثقيلة أحدثت فيها ورماً كبيراً ، ثم أصابتها رصاصة عيار « . وكانت الأضرار الخارجية ظاهرة ، أما من الداخل ، فقد كان عقلى لا يزال سليماً نشيطاً .

وبعد لحظة إستنتجت إننى لم أمت ، لأن الموتى لا يحسون بالألم . وفى ببطء شديد رفعت رأسى عن العشب الرطب ، ورددت البصر

حولى ، فلم أر أحداً ... لم يكن هناك غير سيارتى ، وكانت واقفة ،  
وأحد أبوابها مفتوح .

وحركت جسدى شيئاً فشيئاً حتى وقفت أخيراً ، وغامت الدنيا بى ،  
ودارت ذات اليمين وذات الشمال ، ثم إستقرت أخيراً ، وعرفت أين أنا ،  
كنت فى منتزه هازارد ، بجوار شارع سوتو ، ومشيت إلى سيارتى فى  
بطء ، وركبتها ، ورأيت أننى لم أكن وحدى .

كان جوجارزا موجوداً فوق المقعد الذى بجوار مقعد السائق ، وكان  
فى صدره ثقب وعلى وجهه تعبير خال من الحياة ، وفتحت الباب من  
ناحيته ، ودفعت به إلى الخارج .

وعندما أدركت مفتاح الحركة لم يقع شيء ، وكان هذا يحدث ثلاث  
مرات من أربع تقريباً ، فدسست يدى تحت لوحة القيادة وهرزتها  
الأسلاك لكى أعيد التيار ، ولم يكن اجناشيو يعرف ذلك ، وعندما لم  
يستطيع قيادة السيارة ، بعد أن أطلق على النار تملكه الفزع ، وهرب  
تاركاً أخاه ، وما كان هذا الأخير ليحقق عليه لهذا السبب .

وخرجت من المنتزه ، ومضت إلى شارع سوتو ، فى طريقى إلى  
الجنوب ، كانت هناك رسالة تحاول أن تقول إن هناك شيئاً عاجلاً لا بد  
منه ولكن رأسى لم تستطيع أن تسجل أى شيء وراحت أتوار الفوانيس  
تخبو ثم تزيد أمام عيني قبل أن تنطفئ تماماً فى نفس الوقت الذى  
إنعطفت فيه إلى شارع مألوف ، وتجاوزت بيتين ثم وقفت .

ولاريب إننى ترنحت وأنا فى طريقى إلى البيت ، ولكننى لا أذكر

شيئاً . وكل ما أذكره بعد ذلك هو سقف غرفة النوم ببيت فاسكيز .  
الذى رحت أنظر إليه ، ووجه ليندا فاسكيز المذعور وهو منحني فوقى .  
فى حين راح شيء بارد يثقل على وجهى الجريح .

قالت : هل تسمعنى يا ستونبريكر ؟ ... هل إستيقظت ؟

زمجرت : نعم . أطلبى البوليس .

— سوف أفعل حالاً . ولكن هل أنت أحسن ؟ —

— لا أدرى . إطلبى البوليس .

إبتعدت عنى ، تاركة المنشقة المبتلة فوق عينى وجبينى . ودق  
حذاقها العالى على الأرض العارية لغرفة المعيشة . ولاريب إن بعضهم  
رفع السجادة الملوثة بالدم . وسمعتها ترفع السماعة وتدير القرص .  
وعندما بدأت أعود إلى أرض الأحلام إنفتح الباب الأمامى للبيت فى  
عنف ، وراحت أقدام أخرى تدق على أرضية الغرفة .

وكان الصوت النائح أكثر جدة ، وأشد إنفعالا عما سمعته آخر مرة  
فى المنتزه : — إننى أنذرتك بما سوف يقع لك ان انت تكلمت مع  
البوليس ... سأجعلك تتدمين الآن قبل أن أقتلك .

قالت ليندا فاسكيز متوسلة : — كلا . لا تفعل هذا . إننى لم أقل  
شيئاً . إننى قلت لهم إننى لا أتذكر أوصافكم .

— اصمتى . قلت ذلك لستونبريكر ، وقد مات أخى الآن . كان يجب  
أن أدع جو يقتلك أنت أيضاً بعد أن تخلصنا من زوجك . ولكننى كنت  
كريماً جداً وقلت لجوى كفى أن تقيدها وأن تمضى بها إلى غرفة الحمام  
إنها لن تتكلم .

راحت المرأة تطلق صرخات قصيرة نائحة .

وعندما رفعت المنشفة من فوق جبينى ، أحرق الضوء عيني ، وأخرجت ساقى من الفراش ، وبقيت جالسا لحظة ، وأنا أعد من واحد إلى خمسة . وأنا أجمع قواى لكى أقف .

ومن غرفة المعيشة سمعت صوت لكمة عنيفة فوق اللحم والعظام . ووقع جسد فوق الأرض . وراحت ليندا فاسكيز تتوسل فى صوت مذعور : أوه ، كلا ، أرجوك . لا تفعل هذا . أرجوك ... كلا . إننى لم أقل شيئا لآى أحد ... أقسم لك على هذا .

وأخذت مسدسى فى يدي ونهضت . كان باب غرفة النوم مواربا نحو خمسة عشر سنتيمترا . وتقدمت وأنا أترنج ، ودفعت الباب بقبضة يدي ، ورأيت اجناشيو يصوب مسدسه نحو المرأة التى تكومت فوق الأرض العارية .

وعندما رأى اجناشيو وجهى البشع الجريح فغمر فمه مشدوها . ولكن الحقد لم يلبث أن حل محل الدهشة وأدار مسدسه نحوى . وقبل أن يضغط على الزناد كنت قد أطلقت النار فى فمه .

وأتعمت المكالمة التليفونية التى كانت ليندا قد بدأتها مع البوليس . وانتظرنا قدومه فى المطبخ .

قلت : أريد أن أسألك شيئا قبل أن يأتى البوليس .

- قل . كانت هادئة الان ، وعلى وجهها علامة حمراء ، فى الموضع الذى لكمها اجناشيو فيه .

- هل كان زوجك قد مات عندما دخلت ونظرت إليه فى المرة الأولى ؟

- إنك سمعت قصتى للبوليس ، وقصة مدام هيريرا .

— بل أعنى عندما دخلت وحدك يا ليندا .

فتحت فمها لكى تتكر . ولكنها لم تلبث أن غيرت رأيها وتكومت فى مقعدها . وقالت : — لا أدرى . كان لا يزال ينزف قليلاً . ولعله كان على قيد الحياة . وربما كان فى مقدورى أن أسعفه .

— ولكنك لم تحاولى ذلك .

— كلا .

— لماذا ؟

— هل ترى هذه الصورة التى فوق التليفزيون يا ستونبريكر ؟

نظرت عبر الباب إلى الصورة الموضوعة فوق التليفزيون بغرفة المعيشة ، وكانت لصبى فى الرابعة من عمره ، أسمر العينين .

قالت : هذا هو إبنى مانى . وقد مات أبوه بعد التقاط هذه الصورة بشهر . وبعد سنة تزوجت روبن فاسكيز . ومانى ، فى هذه الصورة ، يبدو بأصابع يده كلها . أما الآن فإن يده اليمنى ليس بها غير ثلاثة أصابع ، لأن روبن غضبت ذات يوم ، كان مانى يبكى فيه ، وأمسك بيده فوق نار الموقد . وكنت أرجو أن يكون روبن قد تغير بعد خروجه من السجن . فقد سألته عندئذ إذا كنت أستطيع أن آتى بابنى لكى يقيم معنا ، فقال إننى إذا فعلت ذلك فسوف يحرق يده الأخرى .

سألتها : وماذا حدث بعد ظهر اليوم إذن ؟

— كما قلت لك ، قطعت قيودى ، وخرجت من نافذة غرفة الحمام . ولم يرنى أحد . ومضيت إلى الباب فوجدت روبن متهاكاً ينزف دمه . وإذا كان لم يموت ، فقد كان وشيكاً أن يموت . وعدت إلى غرفة الحمام . ورحت أنظر من النافذة إلى أن خرجت مدام هيريرا ناديتها ، وتسلفت

من النافذة وخرجت كما رويت لرجال بوليس . ومضينا معاً إلى الباب العمومى . وفى هذه المرة لم يكن هناك أى شىء . فقد مات روبن . وأسرعت إلى غرفة الحمام ، وتظاهرت بأننى أدير المفتاح فى القفل . ثم دخلت لكى آتى بالضمادات .

وبقيت لحظة واحدة وهى تطرق بعينها إلى الحصيرة ثم نظرت إلى قائلة : - كيف عرفت ذلك يا ستونيبيكر ؟ ... كيف عرفت إنى عندما دخلت مع مداد هيريرا ، ولم تكن المرة الأولى .

- إنك تنسقين بيتك جيداً يا ليندا . وكان فى مقدورك أن تجدى المقص بأسرع مما ذكرت للبوليس . من ناحية أخرى ، كانت هناك آثار لقدميك تحت نافذة غرفة الحمام .

- ولكننى حرصت على أن أضع قدمى فى نفس المكان فى المرة الثانية .

- ولكنك نسيت أن تتنظفى حذائك . كان العشب ملوثاً بالدم حيث وضعت قدميك . ومعنى هذا إنك كنت فى غرفة المعيشة .

- ماذا ستقولى للبوليس ؟ - الحقيقة . هى إن جو واجناشيرو جارزا هما اللذان قتلوا زوجك . وماذا ستقولين أنت لهم ؟

نظرت إلى لحظة طويلة بعينها السوداوين المستفلقتين وطرق رجال البوليس الباب العمومى فى هذه اللحظة ، فمضت لكى تفتح لهم .





## الكسيح

كانت الغابات معتمة وباردة ومبتلة ، بعد هطول المطر الأخير .  
وأحس الرجل المسن بالطراوة والرطوبة على وجهه ، وعلى يده  
اليسرى ... ولكنه لم يحس بهما فى أى مكان آخر من جسمه ، ففيما  
عدا تلك اليد اليسرى الملقاة فوق مسند مقعده المتحرك كان مشلولاً ، من  
قمة رأسه إلى أخمض قدميه .

لم يكن يعرف هذه الغابات على الرغم من إنه أقام فى حدودها منذ  
ثمانية عشر عاماً . فلم تأت به أى من إبنتيه العزيزتين . إليها أبداً .  
ولكنه قضى الساعات ، تلو الساعات فى شرفة بيته ، يتأمل ذلك الخط  
الأخضر الطويل الذى لا نهاية له . وهو يتساءل ما الذى هناك بعد ذلك  
ويتمنى أن يذهب إليها ... وحده ... كان هذا هو أهم شيء ... وحده .  
وقد حانت الفرصة اليوم أخيراً .

وكان اليوم يوم خميس ، وكانت إبنته مادلين قد خرجت منذ ساعتين  
للتسوق حوائج البيت . أما إبنته الأخرى كارولين فقد ذهبت إلى تلك  
الندوة الأدبية التى إعتادت الذهاب إليها كل يوم خميس . ثم إن العادة  
المتبعة قد شذت عن المؤلف فى ذلك اليوم فإن مدام جريجورالتي كانت  
تعنى به حتى تعود إبنته فى الساعة الخامسة لم تأت على الإطلاق .

ولم يدرك لماذا لم تأت ، ولم يهتم بذلك ، بل إنه هنا نفسه بكل بساطة  
فقد مضت ثمانية عشر عاما منذ أن وقعت تلك الحادثة .. منذ ذلك اليوم  
الذي صدمتهما ذلك السائق الثمل الأرعن بسيارته الكاميون ، هو  
وزوجته ، فأوقعهما على الأرض المبتلة بالماء وقتلها على الفور ، وأصابه  
هو في عموده الفقري وشوهه إلى الأبد ... ثمانية عشر عاما ، وما هو  
قد أصبح الآن وحده ، ولا أحد معه في الغرفة المجاورة ، وأصاغ  
السمع ... ليس هناك أحد في البيت كله لكي يأتي فجأة ويرى أن كان  
بحاجة إلى شيء ... إنه وحده ... وحده .

ولم يكن الخروج من البيت بالأمر السهل ، فقد كانت كل الأبواب  
المؤدية إلى الشرفة مفتوحة ولكن الباب الوحيد المؤدى إلى المنحدر الذي  
أقيم خصيصاً مكان سلم الخدم كان موصداً بعارضة من الخشب مثبتة  
إلى الحائط بواسطة رزمة ، ولكن لم يكن باستطاعته أن يفتحه مع ذلك .  
بيد أنه كان قد عقد العزم على الخروج ، وقد أفلح ، فقد كان المقعد  
المتحرك مزوداً بمحرك وأجهزة بذراعه اليسرى بحيث إنه إذا ضغط  
بسبابته على بعض مفاتيحه استطاع أن يحركه إلى الأمام أو أن يعود  
به إلى الخلف ، ثم إن به حلقة يستطيع إذا عالجها بيده اليسرى أن  
ينتقل بالمقعد من غرفة إلى أخرى ، وإن يندفع به إلى الأفريز عندما  
تخرج به كارولين أو مادلين لكي يقوم بنزهته اليومية القصيرة . وقد  
أقامتا صعوبات كثيرة قبل أن يقدم لهما هذا المقعد ، ولم يكن هذا يرجع  
إلى سوء نية منهما ولكنهما كانتا تخشيان عليه ، وكانتا تعاملانه كما لو

كان طفلاً ، وقد توسل إليهما وأصر وإستعطف حتى قبلنا أخيراً وبناء على ذلك فقد وقف بمقعده على بعد ثلاث أمتار من الباب الموصد ثم ضغط على أحد المفتاحين ، وإندفع بالمقعد إلى الأمام فارتطم بالباب فى قوة ثم ارتد إلى الخلف لكى يتخذ وضعه الأول . وقام بهذه المحاولة ست أو سبع مرات قاومه فيها الباب ولكن الرزة طارت من مكانها فى المرة التالية وإنفتح الباب وهو يهتز ، فهبط المدرج وإجتاز الفناء فى ببطء متجها نحو الغابة . ولم يلبث أن بلغها .

وكان ينطلق الآن فى جوف الغابة بين الأشجار . ولم يعرف أين ذهب بالضبط ولا كم من الوقت مر به . وكانت الأصوات الوحيدة التى تتناهى إلى أذنيه هى زقزقة العصافير وصوت العجلات المطاطية لمقعده وهى تنزلق فوق الأوراق المبتلة . وبلغ دغلاً سميكاً لو أنه كان يستطيع أن يقف على ساقيه لتمكن من دخوله ، ولكن كان يتعذر عليه أن يتقدم بالمقعد بداخله وعالج جهاز التوجيه ، ومشى بمحاذاة الغابة ودار ببعض الأشجار ، وبلغ أخيراً مرجة كبيرة تبلغ مساحة ملعب لكرة القدم .

كان السكون المطبق يخيم على هذا المكان الهادئ . وإبتسم العجوز إبتسامة مبهمه وهو يتذكر وجه امرأة أخرى منذ سنوات طويلة ، ومارتا جالسة إلى جواره فوق ملاءة . ولمسة شفيتها ونعومة شعرها ، ثم لم تلبث أن أمحت الإبتسامة عندما حلت محل ذلك تلك الذكرى التى مازالت حية لتلك الليلة التى صدمتهما فيها السيارة ذات العينين الصفراوين ، ولكنه سرعان ما أبعد هذه الذكرى عنه ، وكان قد عرف كيف يبعدها عنه خلال السنوات الماضية .

وإنطلق الرجل خلال المرجة ، ورأى من خلال الأشجار التى تحدها من الناحية الأخرى إنعكاس الماء الرمادى الكامد فحول وجهته ، وتقدم فى إنحراف نحو بقعة من الأرض ، مرتفعة بعض الشيء ، أفضت به إلى دغل غير كثيف . ووجد نفسه على حافة جرف وعر يعلو بنحو ستة أو سبعة أمتار وأدبا صغيراً ، فى وسطه بركة صغيرة يسبح فيها ثلاث بطات كانت تبدو كما لو كانت لعب أطفال فى دلو كبير . وتحد البركة من الجانبين الأعشاب والطفيليات .

ووقف لحظة يتأمل البطات ، وارتفعت أحداها فجأة ، وفردت جناحيها وضربت بها سطح الماء . ثم طارت وراحت تشق طريقها نحو السماء المفتوحة بدون أية قيود .

وترك ذقنه تتهدل على صدره وهو يتنهد فى هدوء . وعندما رفع عينيه رأى شيئاً يتحرك فى أسفل ، على يساره ، بين الأشجار القريبة من البركة . فقطب حاجبيه ، وبعد احظة ظهر شاب وفتاة بالأرض المكشوفة ويد كل منهما فى يد الآخر ، وراحا يقتربان من الشاطئ فى طريقهما إليه .

وحسبهما عاشقين ... ولكنه لم يلبث أن أدرك فى إنفعال أن الفتاة كانت تقاوم الشاب وتحاول أن تحرر يدها من قبضته . ولكن الشاب كان يتقدم فى جهد كبير وهو يجرها قسرياً . وفى صمت القابعة سمع العجوز صوت الفتاة الحاد يقول فى فزع شديد :

- دعنى .. أرجوك .. دعنى . لن أقول شيئاً لاي احد رحمة بى .  
ولكن الشاب تحول إليها وأمسكها من ذراعها بيده الأخرى وراح  
يهزها فى عنف وهو يقول :  
- أصمتى .. هل تسمعين ؟ .. أصمتى .  
راحت تبكى وهى تطوح برأسها ذات اليمين وذات الشمال فيصدر  
من شعرها تموجات ساخرة :  
- إنك تريد أن تقتلنى .. أعرف إنك تريد أن تقتلنى ... ستقتلنى ،  
بعد أن تفرغ منى .  
صفعها فى قوة ، ودوت الصفعة كما لو كانت طلقة مسدس . وقال :  
- سوف أقتلك فعلاً إذا لم تصمتى .  
وأحس الرجل العجوز بالغضب يسرى فى كيانه ، وهو غضب لم  
يعرفه منذ وقت طويل ، وصعد الدم إلى صدغيه . وأمسكت يده اليسرى  
بمسند مقعده المتحرك ، وقال : لو أن لى ساقين ... لو أستطيع أن  
أمشى وأستخدم جسدى .  
وأطلع عنفه إلى الأمام وفتح شففيه وصاح :  
- أنت يا من هناك ! .. دع هذه الفتاة .. دعها وشأنها .  
حول كل منهما رأسه فجأة ، ورفع عينيها إلى أعلا . ورأياه .  
وصاحت الفتاة دون أن تدري أنه فى مقعد متحرك ، بينما شد الرجل  
العجوز جسده فى عربته كما لو كان يحاول التخلص من قيوده ولا  
يستطيع منها فكاًكا : - النجدة !

وكان الشايب يعلوه النمش . وحرر يده اليمنى وضرب الفتاة بقضبته  
فى عنف . فوقعت كما لو كانت قد تفككت . وبقيت مكانها لا تتحرك .  
وتحول الشاب إلى الرجل عندئذ وهو يدس يده فى جيب سترته  
وأخرجها بمسدس صوبه نحو العجوز وهو يجرى نحوه .

ولم يلمس الرجل جهاز مقعده ، وإنما بقى مكانه لا يتحرك وقد ضم  
شفتيه فوق أسنانه ، وقست عيناه وأرسلتا بريقاً وحشياً وهو يتابع  
مجهودات الشاب لكى يصعد المنحدر الصخرى الذى تكسوه الأعشاب .  
كان فى نحو الخامسة والعشرين من عمره . طويل القامة . بارز  
تقاطيع الوجه ، ذا شعر أشقر مجعد . وفجأة أدرك الرجل العجوز أنه  
أمام راستى جانيس . وهو مجرم هارب .. قاتل ولص .. وأن رجلين  
هاربين قاما بمذبحة فى المنطقة . وكان الآخر قد وقع فى قبضة  
البوليس منذ يومين . ولكن جانيس استطاع أن يهرب . وكان البحث عنه  
لا يزال جارياً . وكان الرجل العجوز يعرف كل هذا لأن الشىء الوحيد  
الذى بقى له من ملذات الدنيا ومسررتها هو التلفزيون ، وقد رأى صورة  
جانيس أكثر من مرة أثناء نشرة الأخبار .

بلغ جانيس أعلا المنحدر . وتوقف على بعد خمس خطوات من  
الرجل العجوز وهو يصوب مسدسه إليه . ومسح فمه بكم سترته وقال :

- مشلول .. عجوز مشلول فى مقعد متحرك .. إنك لا تفتقر إلى  
الشجاعة يا جدى العجوز . هل تريد أن تصيبنى بالجنون بصياحك

هذا ؟

قال الرجل العجوز فى قسوة : - دع الفتاة وشأنها يا جانيس .

- آه . هل تعرف من أنا ؟ ... حسناً يا صديقى . هل تعرف معنى هذا ؟ .. معناه إنه يجب أن أتخلص منك .

عاد الرجل العجوز يقول : - دع الفتاة وخذنى أنا رهينة بدلاً عنها . إنك تحتفظ بها لهذا الغرض ، أليس كذلك ؟ ... إقتلنى عندما تفدو حراً وبعيداً عن متناول البوليس .

ضحك جانيس فى جنون وقال : - حقاً ... إنك رجل عجيب يا جدى العجوز .. رهينة فى مقعد متحرك ... أتريد منى أن أدفعك بهذا المقعد ... إنك عجيب حقاً .

- إقتلنى إذن ، ودعنا نفرغ من ذلك الآن .

قال جانيس وهو يرفع مسدسه على الفور : سوف أفعل بكل تأكيد . ضغط الرجل العجوز بكل قواه على المفتاح الذى يدفع المقعد إلى الأمام فإنتقل المقعد فجأة ... فجأة بحيث وقف جانيس لحظة كالصبيوق لفرط الدهشة وعندما أوشك المقعد أن يرتطم به تقريباً حاول أن يتبجح عنه وهو يضغط على الزناد فى نفس اللحظة . وإنطلقت الرصاصة محدثة دويماً شديداً فى أذن الرجل العجوز ومرت بجوار أذنه كالقنبلة وفى نفس الوقت إرتطم السلم المعدنى للمقعد المتحرك بركبة جانيس ، فأفقدته توازنه وطوح به إلى الخلف نحو المنحدر .

وأفلتت من شفتيه صيحة حادة إنقطعت فجأة عندما أرتطم جسده بالأرض الصلبة ووقع المسدس من يده . وأوقف العجوز المقعد على بعد سنيمترات من الحافة ورأى جانيس يتدحرج وينزلق على الأرض



الصخرية . وتحطمت رأس الشاب فوق حافة صخرة حادة ثم هوى فوق صخرى أخرى ، وانبعثت من جسده هذه المرة فرقعة مدوية ثم توقف عن الحركة على مقربة من البركة . وسال الدم من رأسه ومن ركن مخه .

وابتعد الرجل العجوز عن حافة المنحدر فى حرص وإرتد إلى الخلف . وبقي رابط الجأش . وسط الصمت المطبق . وقد تحولت عيناه نحو الفتاة . كان من المتعذر عليه أن يهبط إليها ولم يكن بإستطاعته أن يفعل شيئاً فيما عدا الإنتظار . وتحركت أخيراً . وتكومت مكانها . وأمسكت ذقنها وقد إرتسمت فى عينيها أمارات الحيرة والذهول .

وأحس الرجل العجوز عندئذ بشيء من الإرتياح وقال :

- يا آنسة .. يا آنسة ..

جلست وأدارت رأسها . ونظرت إلى الناحية التى أتى منها الصوت . وعندئذ فقط بدا أنها تذكرت أين هى . وما حدث لها وتسبب فى فزعها . فوقفت على قدميها وهى ترتعش وتتهيباً للفرار .

وصاح الرجل العجوز : - لا تخشى شيئاً .. إنه لن يستطيع أن يؤذيك الآن لن يستطيع أن يؤذى أى أحد . أنظري إليه صريعاً هناك . تأملت الفتاة جانيس ثم حولت عينيها عنه ونظرت إلى الرجل العجوز وقد تبدل فزعها إلى خجل . ولم تلبث أن بدا عليها الإرتياح الشديد .

قال : إذهبى وإستدعى البوايس أنت بهم هنا سأتنظر أسرعى .. ترددت كما لو أنها أرادت أن تقول شيئاً . ولكنها لم تلبث أن تحولت وراحت تجرى مسرعة حول البركة لكى تتغلغل بين الأشجار .

من نفس الطريق الذى أقبلت منه هى وجانيس . وتابعها الرجل العجوز بعينه حتى إختفت عن ناظريه ، وتنهى عندئذ تنهيدة عميقة ، وبدأ عليه الارتباك التام .

وفيما هو ينتظر راح يتسائل عما سوف يقول للبوليس عند قدومه ، وهل سيستدلون من أسمه على شيء ؟ ... كلا . طبعاً . فإن ثمانية عشر عاماً مدة طويلة . سوف يجد الصحفيون الصلة طبعاً .. بين فريزر ، العجوز المشلول الذى أنقذ بمعجزة فتاة من الموت وقضى على مجرم خطير ... إن هو الابن فريزر الذى ظل طوال ثلاثة وعشرين عاماً وهو يعمل ضابط بوليس فى العاصمة ، والذى كانوا يلقبونه بصياد الرؤوس ، بسبب إخلاصه لمهنته ورقضه البات التظى عن أية قضية .

فكر فى سخرية ... التظى عن أية قضية ... ولكنه تظى عن كل شيء منذ ثمانية عشر عاماً ... إنه قضى طوال هذه المدة وليس فى رأسه غير فكرة واحدة ، وهى أن يجد الوسيلة للإفلات من مراقبة إبنتيه الحريصتين ، لكى يفرغ بعد ذلك مما بقى له من حياة . ولهذا السبب بالذات جاء إلى الغابة اليوم ، لقد فكر فى هذا وهو واقف على شفا الجرف ، ينظر إلى البركة وإلى البطات الثلاث . ولولا قدوم جانيس والفتاة لضغط على مفتاح مقعده ، ولا ندفع من عل إلى أسفل الوادى ولتمدد هو نفسه فى ذلك المكان بدلاً من جانيس .

وفكر في الفتاة ، وفي تعبيرات وجهها قبل أن يعدو لاطاعته . ولأول مرة ، منذ موت مارتا ، ومنذ شلله غرف معنى الكرامة والإمتنان وأحس بأنه أفاد الغير .

وإرتسمت على شفثيه إبتسامة صغيرة . لن تكون هناك أفكار إنتخار ثانية ، ولن يترحم على نفسه ،.. في مقدوره الآن أن ينتظر .. في مقدوره أن ينتظر في سلام .



## الفرق بالحيوان

- ألقى كرانديل السؤال الأول فقال :-  
- أنت هنا منذ سنة ١٩٤٠ ، أليس كذلك ؟  
كانت الأنسة هدرسون ذات شعر دب فيه المشيب وابتسامة مكنودة  
صبورة .. وأجابت :  
- نعم ياسيدى ... منذ سنة ١٩٤٠ ،  
- وقد صدر عليك الحكم بالسجن المؤبد ؟  
- نعم ياسيدى .  
رحلت أقلب صفحات الملف الذى أمامى ثم قلت :  
- لقد حكم عليك بالسجن مدى الحياة لأنك قتلت عمك .. بأن  
دسست لها السم ، أليس كذلك ؟  
- نعم يا سيدى ، لأننى قتلت عمتى .  
رفعت رأسى وقلت : - ولماذا قتلتها ؟  
بقيت ملامح مس هدرسون جامدة وهى تقول :  
- لأنها كانت تقتل العصافير الحمراء .. كانت تعرف إننى أحب  
مشاهدتها من نافذة المطبخ وكانت تطلق عليها النار لهذا السبب .

كنا نعرف جميعاً كل هذه النقاط طبعاً ، ولكن عندما يقف سجين أمام اللجنة التي تنتظر في طلبات إطلاق سراح المتهمين بناءً على طلبهم إستناداً إلى حسن سلوكهم فإن تلك اللجنة تحرص على أن يذكر لها السجين كل هذه النقاط ، وتشعر عندئذ أن أقواله قد تساعدنا شيئاً ما في اتخاذ قرار سواء بإطلاق سراحه أولاً ..

وانحنى أموس ويتمان ، العضو الثالث باللجنة إلى الأمام وقال :  
- أرى من ملفك إنك كنت حسنة السلوك ولم يصدر منك ما تؤاخذ عليه .

أجابته مس هــسون : - نعم يا سيدي .. لم يصدر مني ما تؤاخذ عليه طوال الأربعة والعشرين عاماً الماضية .

وحولت عينيها إلى النافذة وأردفت : -

- كنت في الثانية والثلاثين عندما جيء بي هنا .

أخذ ويتمان يفحص الأوراق التي أمامه ثم قال :

- إنك تقدمت بطلب لأخلاء سبيلك بالضمان الشخصي في سنة

١٩٥٢ ، وتقدمت بنفس الطلب خمس مرات بعد ذلك ، وقد رفض طلبك في كل مرة .

نعم ياسيدي طلبت ذلك خمس مرات ورفض طلبى خمس مرات

نظر ويتمان إلى وإلى كراندل ، ثم تحول إلى الأنيسة هــسون من

جديد وقال : - هل تعرفين لماذا ؟

خفضت عينيها وقالت : - كلا يا سيدي .  
دونت أمامي بضع ملاحظات مبهمه ثم سألتها : - هل لك أسره ؟  
هزت رأسها سلبا وقالت : - كلا يا سيدي .  
أخذت أكتب ثانية ثم قلت : - هل لك أصدقاء ؟  
- كلا يا سيدي .. ليس لي أصدقاء .  
نظرت إليها وسألتها : - هل كونت لك صداقات هنا في السجن ؟  
خفضت عينيها مرة أخرى وفكرت بضع لحظات ثم قالت :  
- هنا ؟ .. نعم يا سيدي .. أن لي بعض الأصدقاء .. والجميع  
ظرفاء معي .  
.. واستجوبناها لمدة عشر دقائق أخرى ثم سمحنا لها بالإنصراف .  
كان أموس ويتمان عضوا جديدا في اللجنة وقد قال :  
- إنني لا أفهم شيئا .. كان يجب إخلاء سبيلها عندما تقدمت بأول  
طلب في سنة ١٩٥٢ .. ومع ذلك فقد رفض طلبها خمس مرات ..  
إبتسم كرانديل وقال : - لكننا لا نطلق سراح السجين بطريقة آلية  
لا شيء إلا لأن له الحق في المطالبة بذلك ..  
- أعرف هذا .. ولكن لم لا في هذه الحالة بالذات .. إن حياتها في  
السجن لا تشوبها شائبة .. كانت في الخمسين من عمرها عندما تقدمت  
بطلبها هذا الأول مرة .. إن بقاءها يعرضها لبعض الخطر .  
قلت . - إذا أردت الصراحة فأننا مضطرون إلى أن نأخذ سنها

مأخذ الإعتبار .. إنها فى الثانية والستين من عمرها الآن ، فماذا تفعل لو إننا أخلينا سبيلها ؟ .. هل تجد عملاً ؟ .. وأى نوع من العمل .

كان من الواضح أن ويتمان يشعر بالإستياء وقال : - هل تعنى إنك تنوى أبقاها فى السجن لا لشيء إلا بسبب سنّها حقاً ؟

هز كراندال رأسه وقال : - إنهم يتوقعون منا أن نصدر قرارنا فى هذه المسألة يا أموس ، وليست المسألة مسألة سن فحسب فالواقع أن مس هــسون إرتكبت جرائم قتل كثيرة بالسّم .

قطب ويتمان حاجبيه وراح يقلب فى الأوراق التى أمامه ثم قال :  
إنها أدينّت لأنها دسّت السّم لعمتها فقط . وهذا كل ما أجده فى ملفها ؛  
أطلّعتُه عندئذ على المعلومات التى نعرفها فقلت : - إن عمها وعمتها وابن عمّتها ماتوا جميعاً بالسّم فى أقل من شهر .. وقد إستخرج أولوا الشان الجثث الثلاث وعشروا فى كل منها على كمية قاتلة من الزرنيخ .. وقد روى الإكتفاء بفحاصمتها لقتلها عمّتها ..  
إيتسم ويتمان فى إرتباك وقال :

وما هى الأسباب التى بررت بها إرتكابها للجريمتين الأخريين ؟  
- قتلت عمها لأنه كان يضرب جياده ، وكان لا يزال يملك عدداً منها فى سنة ١٩٤٩ وتخلصت من ابن عمها لأنه أغرق بعض القطط .  
قطب كراندل حاجبيه وقال : - هل تعتقد إننا نستطيع إطلاق سراحها الآن يا أموس ؟ .. إنها جديرة بأن تدس السّم لكل من يسىء معاملة حيوان .



أشعلت سيجارة وأخذت منها بضعة أنفاس قبل أن أقول :  
- أنها أصبحت يتيمة وهى فى الثامنة عشرة من عمرها وقد كفها  
عمها وعمتها ، وكانا يعيشان فى مزرعة نائية .. وقد أسفر التحقيق  
الذى أجري بعد ذلك أن العم والعمة إحتفظا بالطفلة الصغيرة سجيئة ..  
أوه ! لا أعنى أنها كانت سجيئة تماماً ، ولكنهما لم يسمحا لها أبداً أن  
تتصادق مع أى أحد أو أن تشتري ثوباً جديداً .. وكان عليها فوق ذلك  
أن تقوم بأعمال المطبخ وبالأجزاء الأكبر من أعباء البيت .  
إعتدل ويتمان فى جلسته وومضت عيناه وقال : - ولكنها كانت قد  
بلغت ، الثانية والثلاثين من عمرها على كل حال .. إلا تفهمان ؟ إنها لم  
تقتل كل هؤلاء الناس بسبب تعذيبهم الجياد أو إغراق القطط أو قتل  
العصافير ، وإنما قتلتهن بسبب ما فعلوه بها طوال حياتها كلها .  
حك كرائندال ذقنه وقال : لا أدري . ما أنا إلا رجل أعمال  
أحاول التصرف ، بصفتى عضواً فى اللجنة ، كمواطن صالح ..  
ولست نفسانيا .

وتحول إلى وقال : - ما رأيك يا دكتور ؟  
أملاك زوجتى واسعة وجميلة فى مثل هذا الموسم من السنة .. وكنت  
أنظر إلى زوجتى من نافذة غرفة الطعام ، وكانت تجلس فوق العشب  
وبجوارها كلبها برنس .

وكانت الأنسة هدرسون تعد المائدة .. وخاطبتنى تقول :

- لا أدري حقاً ماذا كنت أستطيع أن أفعل لكي أعيش يا دكتور لو لم تأخذ بناصري في اللجنة .

وفي الخارج نبح الكلب نباحاً حاداً فجأة ثم جعل يئن ويتوجع ..  
واقتربت الأنسة هديسون من النافذة .

وهناك أناس يستخدمون الرفق في تدريب كلابهم ، في حين  
يستخدم أناس غيرهم السياط .

واتسعت عينا الأنسة هديسون ، وازدادت إتساعاً ، ولا أظن إنها  
سمعتي وأنا أتحدث إليها .

وإرتسمت على شفتي ابتسامة كبيرة وأنا أرى زوجتي ترفع السوط  
من جديذ

كانت الأنسة هديسون تتطلع إلى زوجتي بعينين يعطايهما منهنما  
الغضب وهي تراها تنهال بالسوط على الكلب المسكين .

وعندئذ أدركت أنني ستأثر بثروة عائلة عمي قريب لأن من هديسون  
ستقتل زوجتي حتماً .. لأنها أسأت إلى الكلب ..

ومن أجل هذا الأمل إستخدمتها لدى مشرفة على البيت بعد إطلاق  
سراحها ..

★ ★ ★

## الشاعر المغمور

كنت جالساً على شهادة القبر وأنا الهث قليلاً عندما وقعت أصواء  
الكشافات على فجأة ، وسألني صوت قاسى الثبرات :

- ماذا تفعل هنا بحق الشيطان ؟

نهضت واقفاً واستندت على مجرفتى وأجبت :

- إننى أحفر .

وعاد الصوت يقول فى حدة هذه المرة :

- هل الأرض صلبة ؟

- كلا ، إنها مازالت طرية ... إنه قبر جديد .

لم أسمعهم عند قدومهم ، ولكننى الآن ، وعلى ضوء القمر رأيت  
أشباههم ، كانوا ثلاثة ... إثنان من رجال البوليس وحارس المقبرة من  
غير شك .

قال الحارس : ما كنت لاكشف أمره لو لم أخرج لكى أبحث عن

كلبى ، وعندما رأيت ما يفعل أسرعت بإبلاغ البوليس .

ونظر إلى الحفرة ثم قال : لم يحفر أكثر من ثلاثين سنتيمترات ،  
لا تزال هناك مسافة كبيرة لكى يبلغ التابوت .

وقال أحد الشرطيين وهو يحمل شارة الرقيب : وعن أى شىء تبحث  
يا سيدى ؟ ... أعن نبات الفطر ؟

أجبت : كلا بالتأكيد أيها الرقيب ، فالفطر لا ينبت فى هذه البقاع ،  
وإذا كانت هنا ثمة نباتات فلا بد أن تكون من نوع اللفت ، كما تعرف .  
ونظرت إلى شاهدة القبر وتهدت ثم قلت : إنما أحفر لكى أسترد  
قصيدة كنت قد كتبتها ... أعنى « سونيته » .

سادت لحظة صمت ، والظاهر إن الشرطى الثانى أحس بأنه لابد  
أن يقدم إيضاحاً لأنه قال :

– إن السونيته قصيدة شعرية .

أجاب الرقيب : إننى أعرف .

قلت :

– عندما ماتت مارتا هدى الحزن ، فكتبت عندئذ قصيدة عبرت

فيها عن ألى ، وهى أحسن قصيدة كتبتها حتى الآن ، وكانت رثاء لها ،  
ووضعتها فى التابوت قبل أن يغلقوه .

– وجئت الآن تبحث عنها ؟

- نعم ، أيها الرقيب ، وخطر لى فجأة إننى كنت أناانياً جداً لأننى أردت الاحتفاظ بفضائل مارتا لى وحدى ، إذا كيف يعرف العالم طبيعتها ونبيلها وجمالها ، إذا انا تركت قصيدتى الخالدة تتعفن فى القبر .

ألقى الرقيب نظرة إلى زميله ، ثم عاد إلى وقال : وفيما نتحدث هذه القصيدة ؟ هل تتذكر ماذا كتبت ؟

مززت رأسى وقلت : كلا للأسف ، فإن ذاكرتى ليست قوية ، وخصوصاً فيما يتعلق بما أكتب .

إبتسم كاشفاً عن أسنانه البيضاء وقال : ولماذا لم تكتب نسخة بالكربون ؟ لو إنك فعلت لو فرت على نفسك كثير من الجهد والمشاكل .  
وحول ضوء المصباح الكهربائى إلى شاهدة القبر وقال : هل أنت زوجها ؟

- كلا ، وإنما معجب بعيد .

حك الرقيب رأسه وقال ، إننى رأيت كثيراً من المعتوهين فى حياتى ، ولكنك ضربت الرقم القياسى فى هذا المضمار ، وما أظنك إلا من لصوص المقابر .

وأخذنى من ذراعى وقال : تعالى أنكر قصتك هذه للملازم ويلسون .  
وأضطررت أن أنتظر مدة طويلة فى قسم البوليس قبل أن يقتادونى إلى مكتب الملازم ويلسون .

وراح يقلب بعض الأوراق وهو يقول : قد يدخل كل هذا فى  
إختصاص الطبيب النفسانى . ولكننى أريد أن أقوم بمحاولة قبل ذلك .  
ونظر إلى وقال : هل سمعت عن عشق المرء لجثث الموتى ؟  
أجبت : طبعاً . وأنا لست من أنصاره . إن الجسد الميت فى نظرى  
ما هو إلا جسد ميت ولا أكثر . وأنا لا أهتم إلا بروح مارتا وبذاتها .  
وهما فى السماء .

- ولكن قصيدتك موجودة فى التابوت ؟

- نعم . للأسف .

- كم عمرك ؟

- واحد وثلاثون سنة .

- ومارتا كارسون ، تلك التى كنت تحفر قبرها ماتت وهى فى  
السادسة والأربعين .

- إن السن لا تعنى أى شىء . إن جمالها الداخلى لاسن له ، وهو  
الذى كان يعجبنى فيها .

قلب أوراقه مرة أخرى وقال : إن زوجها ميكانيكى وهى قد أمضت  
نحو أسبوعين فى المستشفى قبل أن تموت . كانت مريضة بالكليتين ،  
وكانت امرأة عادية .

- فى نظر الناس . أما فى نظرى أنا فقد كانت المرأة  
الخالدة .

- هل كنت صديقاً للعائلة ؟  
- لم يكن هناك من يعلم بوجودي غير مارتا .  
- هل كانت بينكما علاقة ما ؟  
نظرت إليه ببرود وقلت : روحانا فقط كانتا تتلاقيان  
وتتلامسان .

قطب حاجبية وقال : ماذا تفعل لكي تعيش ؟  
- إن لي دخلاً إنتفع منه .  
- ولكنك شاعر ؟ ... هل نشرت شيئاً من شعورك ؟  
- ليس بعد .. فإن الناشرين مجانين . ولا بد لي من أن أنشر  
أشعاري على حساب الناشرين إذا كنت أريد لها أن ترى النور .  
رأح يتأملني ملياً ثم قال : ماذا لك نتخل ؟ فلا أهمية للمال بالنسبة  
لك ؟

- أبداً .  
هز الملازم رأسه في ببطء وقال : ولكنك لا تكن الشهرة .  
قلت : ولكن من المتعذر أن يحصل شاعر مجهول على الشهرة .  
إبتسم : وقليل من الدعاية ستساعدك ، اليس كذلك ؟ .. هل تحب أن  
يتحدث عنك الناس ؟

أخرجت منديلي من جيبي وجففت جبیني وقلت : إنتى لا أفهم ما  
الذى تقصده .



إختفت إبتسامته وقال : بل أظن ، على العكس ، إنك تفهمنى جيداً . يخامرني إحساس بأنك كنت تتمنى أن يلقي البوليس القبض عليك ، وقد بقيت أنت بجوار ذلك القبر حتى تم لك ذلك . وأظنك أعددت قصة للصحفيين الذين كنت تتمنى أن تتحدث إليهم ؟

جففت يدي ولم أنطق وقست عيناه وقال : أظن إنه لا داعي لأن أقرأ أشعارك لكي أعرف إنه لا يمكن أن تكون شاعراً .

رفعت رأسي وسألته : حقاً ؟ ولماذا ؟

- لأنك لم تبتكر شيئاً .

وأخذ من مكتبه ورقة وقال : عندما جاؤا إلي بقصتك أثار شيء ما إهتمامي فأخذت دائرة المعارف وبحثت فيها ... هل سبق أن سمعت عن دانتي جابرييك روسيتي ؟

تحننت وقلت : هذا جائر .

- كان روسيتي شاعراً ورساماً إنجليزياً من القرن التاسع عشر . وعندما ماتت زوجته في سنة ١٨٦٢ دفن بعض قصائده معها ، ولكنه فكر فيما بعد واسترد القصائد من القبر ، ونشرها تحت عنوان قصائد ج . روسيتي في سنة ١٨٧٠ .

ونظر إلي ملياً ، جامد الأسارير وقال : أهذا ما كنت تتمنى أن تفعل ؟ ... أن تصبح روسيتي آخر ؟

تحاشيت نظرتة ، فسدد سبابته إلى وقال : فى مقدورى أن ألقى القبض عليك بتهمة إنتهاك حرمان الموتى ، ولكننى أعتقد أن هذا هو ما تريده أنت بالذات وعلى اللعنة لو تركت دائرتى تساهم فى هذه الدعاية . قلت ولكننى أعتقد أن أحداً لن يضار إذا أنا أهديت مجموعة قصائدى إلى دائرتك .

أحمر وجهه وسدد أصبعه إلى مرة أخرى وقال : أخرج من هنا . إذا القينا عليك القبض بجوار ذلك القبر مرة أخرى فسوف أرسلك إلى مكان يتعذر عليك الخروج منه طوال عمرك .

عندما رويت قصتى هذه لبيج هيلى راح يضحك وقال : إتنى أحب الرجل الذى يعرف كيف يتصرف ، وأظن أن الثقافة والقراءة من وقت لآخر لها فائدتها .

ومضى إلى الخزانة الحديدية ، وأخرج منها عشرة آلاف دولار ، ناولنى أياها وهو يقول : - كان من المحتمل أن يذهبوا بك إلى المستشفى المجاذيب ، وأن تمضى هناك سنتين . ولكن هذا أفضل من الكرسي الكهربائى على كل حال .

وأشعل سيجاراً ثم قال : هذا حسن جداً . سوف تنال ترقية كما وعدتك . وسأبعث بك إلى الشاطئ الغربى لكى تهتم بمنطقة لوس إنجيلوس ، فقد أحيل لوبيز إلى التقاعد لأنه أصبح يشكو من قلبه .

ونفخ دخان سيجارته ناحيتى واستطرد : ما عليك إلا أن تعمل مع المنظمة وسوف تصل . دعك من الخيال ولا تحاول أن تعمل لحسابك . وإلا أرسلت من يعنى بأمرك ، كما عنيت أنت بأمر شارى لارسون .

إبتسمت إبتسامة عريضة وقلت : يوجد مكانا مناسبا لإخفاء  
جثتي .  
ذلك إنه فى اللحظة التى فاجأتني فيها البوليس لم أكن أحفر القبر  
وإنما كنت أحيل التراب على جثة لارى لارسون .

\*\*\*

## مسرح العرائس

أحببتها عندما رأيته لأول مرة ، ولكنني رأيت المتاعب في نفس الوقت ، فبعد أن يقضى المرء سنوات محاولا تجنبها يكتسب حاسة سادسة تجعله يسببها على الفور ، أعني المتاعب . ولعل ذلك لأنها كانت جميلة ، والفتاة الجميلة تثير المتاعب كل تسع مرات من عشر ، أو ربما لأنها كانت لا تنفك تنظر حولها كما لو كانت تبحث عن شيء أو عن شخص .

كان ذلك في أفينيدا دي سانتوس ، في أول ليلة من مهرجان النوفيللو ، ولم أفهم أبداً لماذا يدعون هذا المهرجان بإسم مهرجان الثور الصغير . على الرغم من أنني قضيت في الجزيرة أربع سنوات ، كان احتفالاً وثنياً بلا شك ، ولا ريب أن له معنى خاصاً لا يفهمه إلا المواطنون .. كل ما عرفته هو أن الجميع كانوا يحتفلون به ، لا سيما الأنسات الجميلات ، ومنظرهن يروق لى كثيراً ..

ورأيته فجأة وسط كل هذا الحشد من الناس .. كانت ترتدى تاييرا أبيض كان ظاهراً بوضوح بين الثياب الحمراء الصارخة والسوداء والصفراء .. يدفعها الناس بمناكبهم هنا وهناك كزورق صغير تتقاذفه

أمواج العاصفة ، ولكنها لم تكن سينوريتا ، وإنما كانت من إنتاج الولايات المتحدة .. مواطنة أمريكية مثلى ..

وخطر لى أن من المروعة والشهامة أن أخف إلى نجدتها ، فشقت طريقى إليها بشق النفس ، وأصابنى فى سبيل ذلك ما أصابنى .. ولم تكن مسرعه فاستطعت اللحاق بها وصحت وأنا أمسكها من مرفقها :  
- هالوا أيتها السيدة الأمريكية !

ولارىب إنها حسبت إننى أسعى وراء حقيبتها ونقودها لأنها تخلصت من قبضتى فى قوة وإستدارت إلى .. ولكن يبدو إن وجهى الأمريكى نم عن أصالتي ، لأنها وقفت تنظر إلى فى صمت .. وخاطبتها قائلاً : يبدو لى إنك بحاجة إلى رفيق فهل أستطيع مرافقتك إلى مكان ما ؟

أجابت : - ولكننى لست ذاهبة إلى مكان ما ..

- دعينى أنقذك من هذا الحشد إذن ..

وبدا ذلك قد راق لها لأنها تركتنى هذه المرة أمسك ذلك المرفق الجميل الذى إنتزعته منى قبل ذلك بكل عنف ، وتقدمتها وتلقيت ما لقيت من جزاء !

وبعد نضال إستمر نحو عشر دقائق بلغت حيث أريد ، وكان مشرب لاکازا دى بريوزا هادئاً عادة فى مثل هذه الساعة أثناء المهرجان ..  
وقلت أسألها : - ما رأيك فى أن نجلس ونتناول مرطباً وشرب لاکازا دى بريوزا صغير لا يتسع أكثر من أربعين من الرواد ، ويضاء

بالشموع ، مشروباته لذيذة وجيدة وجدرانه تعلوها الزخارف والنقوش  
الجميلة ويشرف على خدمته ثلاثة رجال يتكلمون الإنجليزية ..  
وطلبت كأسين من الروم المثلج ، بعد أن حصلت على موافقتها  
طبعاً ، ثم قدمت لها نفسى قائلاً : - إسمى بيت لا نسنج ..  
أجابتنى فى شرود : وأنا اليزا مارتيلون ..

قلت : - هذا إسم غريب .. ومع ذلك فأنت أمريكية ؟ - نعم ..  
ولم يبد عليها أنها راغبة فى الحديث .. وكانت لا تفتأ تلقى النظر  
حولها كما كانت تفعل فى الشارع ، باحثة عن شىء أو عن شخص ..  
وكانت فرصة لكى اتفرس فيها عن كذب ، ورأيت عندئذ أنها جميلة  
حقاً .. كانت شقراء ، ولكن ليس بذلك اللون الأصفر البراق ، وإنما بلون  
رقيق أسبه بلون العسل .. وكان شعرها قصيراً وعيناها خضراوين ،  
وأنفها أرستقراطياً ، وشفتاها لاهما بالرقیقتين جداً ولا بالمكتنزين  
جداً ، وبشرتها جميلة ملوحة ..

وبعد أن جىء لنا بما طلبت لم أستطع إخفاء ، فضولى أكثر من ذلك  
فسألتها : -

- هل تنتظرين أحداً ؟

- ليس تماماً ..

وكفت عن النظر حولها .. ولكنها لم تولنى أى إهتمام مع ذلك ،  
وراحت تحمق فى كأسها فقلت :

- إننى أعرف البلد معرفة لا بأس بها ، وقد أستطيع مساعدتك ..  
ولسبب لا أدريه أحدثت كلماتى هذه أثرها السريع ، فسألتنى على  
الفور . - هل تعرف شيلا رامى ؟

وسرنى إنها تبحث عن امرأة لا عن رجل وقلت : - رامى ؟ ..  
يخيل لى إننى أعرف هذا الاسم ، ولكننى لست واثقاً ..  
أسرعت تقول : - ولكنك مقيم هنا .. أعنى إنك من سكان الجزيرة ؟  
أجبت : - أظن أنه يمكن القول بأننى أقيم هنا فإننى هنا منذ أربع  
سنوات ..

- كنت هنا إذن فى مثل هذا الوقت من السنة الماضية ؟  
- طبعاً ..

- حسناً .. كانت شيلا رامى هنا هى الأخرى منذ سنة بالتمام ..  
أعرف ذلك لأنها أرسلت إلى بطاقة بريدية حدثتني فيها عن المهرجان .  
وانتظرت بقية تفسيراتها ولكنها لم تلبث الصمت وراحت تردد البصر  
حولها من جديد وكانت نظراتها هذه المرة غريبة حقاً وسألتنى أخيراً  
تقول : - هل قلت لى إننا فى مشرب « لاكازا دى بريوزا » ؟  
- نعم ..

- إننى واثقة إن شيلا حدثتني عنه ، وهذا يدل  
- على إنها جاءت هنا لأنه لا يمكن أن يكون هناك مشرب بهذا  
الإسم فى كل جزيرة من جزر البحر الكاريبى ..



- كلا .. لا أظن ذلك ..

- لاريب إذن أنها كانت فى هذه الجزيرة .. من الجائز إنها غادرتها  
وذهبت إلى مكان آخر ولكننى واثقة إن هذا آخر مكان كانت فيه ..  
- لا أفهم ماذا تعنين ..

تفرست فى وجهى لحظة ، وتركتها تفعل وأنا أحاول التظاهر بعدم  
الاكتراث .. وأخيراً قالت :

.. هل أستطيع أن أضع ثقتى فىك ؟

.. - طبعاً ..

- إننى أعتمد عليك إذن فإننى لا أعرف هنا أحد .. هل تريد  
أن تسمع مشكلتى ؟

بدأت تذكر قصتها عندئذ ، وفى تجرع لتروايتها ما بين لحظة وأخرى  
فقالت : - إننى ولدت فى الأوهيو ، ولكننى قضيت السنوات الأخيرة فى  
نيويورك ، حيث كنت أعمل عارضة للأزياء ، واشتغل بالتلفزيون من وقت  
لآخر .. فأكسب ما يكاد يكفى لسد رمقى ..

قلت مازحاً - ظننت من ثيابك إنك وارثة

.. إبتسمت إبتسامة قصيرة وقالت : - إننى إشتري ثيابى بتخفيض  
كبير ..

- وهل إسمك اليز مارتيلون حقاً ؟ - نعم .. والآن وقد عرفت إننى

لست وارثة ، أفلا ترغب فى التخلص منى يا مستر لانسنج ؟

- ولماذا أرغب فى ذلك ؟ .. إننى جالس الآن فى مشربى المفضل ،  
مع أجمل فتاة ، وفيما عدا ذلك فإن إسمى بيت ..  
لم ترد المجاملة وإنما سألتنى قائلة : - هل تريد أن أحدثك عن  
شيلارامى ؟

- بكل سرور .. إن أصدقاءك أصدقائى ..  
- كانت شيلارامى صديقتى ، وإشتركنا فى شقة صغيرة بنيويورك  
قراية سنتين .. ثم حصلت شيل على أجازة وسافرت إلى البحر  
الكاريبى .. وقد أرادت أن أرافقها ، ولكننى كنت مرتبطه فى ذلك الوقت  
ببعض العقود ، ولم أستطع التخلص منها فسافرت شيل وحدها ..  
وكانت هذه الجزيرة ضمن البلاد التى تنوى زيارتها ، وقد أرسلت إلى  
منها بطاقة بريدية .. وكانت آخر بطاقة جائتني منها ..  
وأمسكت ، وحدثت فى كأسها ثانية .. وتلأل شعرها الذهبى تحت  
ضوء الشموع ، وسألتها :

- وهل هذا كل شيء ؟  
- تقريباً .. لم أسمع عنها نبأ بعد ذلك ..  
- هل أبلغت البوليس عن اختفائها ..  
- تولت إدارة الشئون الخارجية الأمر ، ولا أدري ما فعلوا ، ولكنهم  
لم يعثروا على شيل ..  
- ولهذا السبب أتيت هنا ؟ .. آخر مكان تعرفين أنها بلغت لكى  
تبحثى عنها ؟

رفعت عينيها إلى وقالت : - أريدوا هذا غباء منى ؟

- لا أدري .. هذا رهن بمدى صداقتك لها ..

- كانت صديقة حميمة لى .. بل إنها كانت أكثر من ذلك .. يخيّل لى

أحياناً أن شيئاً بغيضاً قد حدث لها .. وفى أحيان أخرى يخيّل لى أنها

إختفت طواعية .. لعلها وجدت هنا شيئاً .. أو التقت بأحد ما ..

قلت : - سحر الجزر ، أليس كذلك ؟

وقدمت إليها سيجارة رفضتها فعدت أقول : - هناك بعض السحر

فيما يتعلق بهذه الجزيرة .

- ألهذا السبب تبقى هنا يا مستر لانسنج ؟

بدأ لى الوقت مناسباً لتبادل الأسرار فقلت : إن الحياة هنا أسهل

وأقل تأثيراً ، وأنا رجل كسول وعملى ، ولهذا أحببت هذه الجزيرة ..

- لعل شيئاً أحست بنفس هذا الإحساس .. قلت : - مع فارق

واحد ، وهو أن إدارة الشئون الخارجية تعرف مكانى ، ثم إننى لم

إختف أو أختبئ .

مهما يكن من أمر فإنك تعرف مشكلتى الآن يا مستر لانسنج ..

- إسمى بيت ..

- هذه هى مشكلتى يا بيت ..

وطلبت كأسين آخرين من الروم المثلج ..

لا تنعش الحياة تماماً أثناء المهرجان إلا بعد الظهر بوقت طويل ،

ولهذا السبب كان فندق لاكازا دلمار الذى تقيم فيه اليز ، وحيث تناولنا

الغذاء فى الظهر غير مزدحم إطلاقاً .. لم يكن به أكثر من بضعة أشخاص يغالبون النوم ، ولكن اليزا أرادت أن ترى الجزيرة ، وأسعدنى أنا قضاء فترة بعد الظهر والأمسية معها .

كانت الفتاة تبدو أجمل بكثير فى ضوء النهار .. وكان واضحاً إنها تحب اللون الأبيض ، لأنها كانت ترتدى بلوزة بيضاء وشرتا أبيض .. كانت ذات ساقين جميلتين ملفوفتين سمراوين .

وبدأنا بالتجوال حول الجزيرة ، وكنت قد استأجرت سيارة إنطلقنا بها إلى الساحل ، وهناك سألتنى اليزا :  
- ماذا يوجد فى وسط الجزيرة ؟

- النصف عبارة عن غابة كثيفة ، والنصف الآخر أراض زراعية .. والمحصول الرئيسى هو قصب السكر .. وهناك قرى قليلة فى النصف الأخير ..

- والغابة ؟

- عبارة عن أشجار ونبات مفروش وعليق وحشرات وزواحف ..  
- أليس بها سكان ؟

- لا أظن أن هناك سكانا يعيشون فى الغابة ، ولكن الناس يختلفون إليها للصيد والقنص ، ثم إن هناك أنصار الفريو ، وهم يذهبون إليها لممارسة طقوسهم ..

وأوقفت السيارة فى جانب من الطريق .. كان الشاطئ على اليمين وكان مقفراً تماماً ، وينحدر إنحدار خفيفاً نحو خمسين

متراً تقريباً ثم يلتقى بالأمواج .. وعلى اليسار ، على نحو مسافة عشرة أمتار كان هناك جدار أخضر .

وقلت وأنا أسير نحوه : - لا يوجد طريق خلال الغابة كما ترين .  
لا أكثر من بضعة دروب تكاد لا ترى . يجب أن يشق المرء طريقه بالمنجل .

ولكن ذهنها كان مشغولاً بما ذكرته لها قبل ذلك لأنها قالت . - إننى قرأت الكثير عن الفودو .. هل يمارسونه فى كل هذه الجزر ؟

- تقريباً .. ولكن فيم تفكرين ؟

- فى شيلا طبعاً ..

- وهل ترين عارضة أزياء أمريكية تتحول إلى راهبة للفودو ؟

- لا تمزح فى هذا الأمريا بيت ..

- يؤسفنى إنك أخذت عنى هذا الانطباع .. ولكن من الجائز أن هذه الغابة لا تروق لى ، ويجوز أيضاً إننى أحاول أن أثبط عزيمتك فى البحث عن شيلا فى الغابة ..

- والفودو ؟

- إن السياح الأمريكيين لا يهتمون بالفودو عادة ، فهو عمل خاص يمارسه الأهالى فيما بينهم ..

- وهل تؤمن أنت به ؟

- آوه .. إننى سمعت قصصاً غريبة تدور حوله ، ولكننى قضيت هنا أربع سنوات ولم يحدث أن إحتككت به أبداً ..

أخذت إليزا إلى التفكير ثانية ، فى حين انطلقت السيارة بنا من

جديد .. أحسست بأننى أخطأت عندما بدأت بهذه النزهة ، ولكننى كنت أريد أن أريها جمال الساحل ومنظر المحيط ، وكنت أرجو أن أخرجها من كآبتها ، ولم يكن ينبغي أن أحدثها عن الفودو .

وإنطلقنا فى ببطء فى طريق الساحل ، وكنا نلتقى من وقت لآخر بإحدى عربات النقل ، ولكن لم نصادف سيارة خاصة واحدة .. وكان النسيم عليلًا ونقيًا ، ولكنه كان مِثْقَلًا برائحة الملح .. ورحت أنظر إليها خلسة من لحظة لأخرى .. وكانت الريح تعبث بشعرها بصورة مبهجة ، ولكنها ظلت عابسة الأسارير .. وسألتها :

- هل تعرفين السباحة ؟

- قليلًا ..

- هل سبق لك أن عرضت ثياباً خاصاً يا لإستحمام ؟

- أحياناً ..

- أعتقد إنك فاتنة فى ثوب البحر ..

- أظن ذلك ..

- هل تمنحيننى الفرصة للتأكد من ذلك ؟

- وهل تظن إننا قد نجد شيئاً على الشاطئ ؟

قلت : حسناً .. فهمت .. العمل قبل المتعة .

وعدنا إلى المدينة ورأيتها كل ما يمكن رؤيته ونحن فى العربة .. المباني الحديثة والنوادي والفنادق والمكاتب الحكومية والأماكن الفخمة التى يقيم فيها الأثرياء ورجال الأعمال الأجانب ، ثم البيوت الحديثة التى أنشئت لإقامة أفضل العمال وأمهريهم ، وأخيراً الأحياء القذرة التى

يقيم فيها الأهالى وقلت : وهكذا ترين أن الجزيرة صغيرة وإنه من غير المعقول أن تختفى فتاة جميله كشيلا بون أن يعرف أحد شيئاً عنها ..

- إذن فأنت تظن أنها ليست هنا ؟

- إننى أشك فى ذلك ..

- وتظن إننى لا يجب أن أقلق ؟

- أوه ، كلا .. أريدك أن تبحثى عنها فإننى لا أريد أن أراك تأخذين أول طائرة وتسافرين بعيداً .. أعنى على الأقل حتى يعرف كل منا الآخر معرفة وثيقة ..

قالت عاتبة : - بيت !

وكانت تلومنى فى كل مرة برقة أكثر من سابقتها واستطردت : -  
إنك لا تأخذ مشكلتى مأخذ الجد ..

وكانت الشوارع قد بدأت تزدحم بالوفود الصباحية ، وعرضت عليها أن نذهب لتناول العشاء ، ثم نختلف بعد ذلك إلى علب الليل وسألتها : هل تتمتع شيلا بصوت جميل ؟ .. لعلها تغنى فى أحد الأندية الليلية .. قلت ذلك مداعباً ، ولكن قولى أثار إهتمام اليز فقالت : - نعم .. إن شيلا لها صوت جميل سواء تكلمت أو غت .. وكانت تريد أن تحترف التمثيل بكل طريقة ..

قلت : - ان فرص التمثيل هنا قليلة .

وتناولنا العشاء ، وتجولنا فى أنحاء المدينة ، ولكننى رافقتها قبل ذلك إلى الفندق لكى تستبدل ثيابها ، ثم أعدت السيارة ومضيت إلى غرفتى الحغيرة لإستبدال ثيابى أنا الآخر .. وعندما إلتقيت بها فى بهو

الفندق بعد ذلك كانت ترتدى ثوباً شفافاً أبيض ، وكانت فى كل مرة أراها فيها أجدها أجمل من سابقتها .. وفى تلك الليلة بالذات كشفت عن كتفها ، وكانتا جميلتين سمراوين وسمارهما يتألق ويلمع كالستان . وتناولنا أسماكاً طازجة إزدردناها على عجل لأن غرفة الطعام كانت مزدحمة وخانقة ، ثم غادرناها مسرعين .. وتشبثت اليز بذراعى فى قوة .. وكان شيئاً جميلاً أن أحس بها .. بجوارى ، ورأيت إننى سأفقدنا حقاً فى اليوم الذى تستقل فيه الطائرة .

وتجولنا نحو ساعتين تقريباً .. واضطررنا أكثر من مرة إلى الإشتراك فى الرقص فى الشارع .. والرقص أثناء المهرجان يتم بطريقة عجيبة فما تشعر وأنت فى طريقك إلا وقد أمسك بعضهم بيدك قسراً وإذا بك تدور مع الراقصين ، سواء شئت أم لم تشأ .. وإنتزعت اليز منى مرة بهذه الطريقة .. إنتزعها منى شاب طويل القامة لم يكن هناك أقل شك فى أنه وسيم تحت قناعه ، وكان لا يد لي من خمس دقائق لكى إستردها منه ، وقد اضطرت تقريباً إلى معاركته .. وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما بلغنا آخر الميدان حيث الناس أقل إزدحاماً ، وحيث تقوم بضع خيام تضم مسارح شعبية بينها سيرك .. وكانت اليز متعبة وقد تجعد ثوبها الأزرق ، وسألتنى قائلة : ما هذه الخيمة الكبيرة ؟

على مسرح للعرائس كما يبدو

.. اتظن أننا نستطيع أن ندخل لكى نستريح لحظة ؟ وكانت رغبتهى غثابة مر ، فقطعت تذكرتين ودخلنا .. وكانت الخيمة كلها عبارة



عن عشرين قدماً مربعاً ، خائفة الحر وتعص بالمتفرجين ولكنها كانت على الرغم من ذلك ملجأ أميناً نستطيع أن نستريح فيه ..

وكان أغلب المتفرجين يجلسون على دك خشبية .. وكانوا جميعاً أشخاصاً مسنين وأطفالاً .. وكان إهتمامهم جميعاً منصّباً على مايدور على خشبة المسرح ، وكان الصخب شديداً ، بحيث كان يتعذر فهم الحوار ، ولكن كان يبدو أن المتفرجين يستمتعون بكل كلمة منه .

ومهما يكن من أمر قاتنى لم أهتم بالحوار أى إهتمام ، خاصة وإنه كان يدور باللغة الأسبانية ، ولم أكن قد الممت الماما تماماً بها بعد .. كنت واقفاً بجوارى فتاة جميلة ، ولم أهتم بما تنطق به الدمية الخشبية ، ولكنى رأيت إن اليز كانت تتابع العرض بإهتمام ...

كان الزحام شديداً بحيث وقفنا ملتصقين ، كل منا بالآخر .. وقد طاب لى أن أقف بجوار اليز لأن شذاها غطى على رائحة الثوم والعرق التى تملأ المكان .. وكان كل منا لا يزال ممسكاً بيد الآخر كما دخلنا ، ويبدو أن اليز نسيت يدها فى يدي ، وقد طاب لى ذلك أنا أيضاً .

وفجأة شددت الخلط على يدي بقوة لم أشعر بها من يد امرأة قبل ذلك ثم سمعتها تهمس قائلة : - بيت .. هذا صوت شيلا ..

ولم أكن سريع الخيال لأننى قلت : - ماذا ؟ .. أين ؟ ..

- إحدى هذه العرائس تتكلم بصوت شيلا ..

- هل أنت واثقة ؟

- ألا تفهم ؟ .. لابد أن شيلا خلف خشبة المسرح .

وكانت هى التى تقدمتنى هذه المرة ، فخرجنا من الخيمة ودرنا بها

وكان المكان مظلماً فلم نر أحداً .. وعندما أدركت أن اليز تبحث عن فتحة الخيمة كانت قد أمتدت إليها وجرتنى خلفها .

وكان المكان الذى تسللنا إليه ضئيل الضوء ، وشعرت فى بادية الأمر بإحساس غامض .. كان مكاناً ضيقاً مستطيلاً يفصله عن باقى الخيمة ستارة أخرى من القماش تؤدي إلى المؤخرة .. أما الممثلون .. أعنى الممثلين الذين يحركون خيوط الدمى ويتكلمون نيابة عنها فقد كانوا يختفون فى الظل ، فوق سقائه من الخشب مرتفعة عنا ، وتقع خلف المسرح بالذات ..

وهمت اليز بصعود السلم المؤدى إلى السقالة ، ولكننى أوقفتها لأننى كنت قد رأيت من أين يصدر النور المضيئ الذى ينير المكان ، وجذبتها على الفور قائلاً : - إنظرى ..

كانت هناك سبع جماجم مصفوفة فوق رف .. سبع جماجم بشرية غرّبت فى كل منها شمعة .. سبع شموع مشتعلات فى سبع جماجم بشرية .. كان هذا هو مصدر النور ..

وليس من السهل إخافتى ، ومع ذلك فإن منظر هذه الجماجم البشرية أثارنى ، وأفزعنى ، وأخجلنى إننى شعرت بقشعريرة تسرى فى بدنى ..

وأدركت إنها تمر بنفس التجربة هى الأخرى ، وأحسست بصدى رعشتها تنتقل من يدها إلى يدي وهمست تقول : - بيت !

ولعلنى أردت أن أظهر أمامها عندئذٍ مظهر الرجل الشجاع فقد تقدمت خطوتين ولمست إحدى الجماجم .. كانت تبدو صلبة ومتينة ، فقلت : - إنها جماجم حقيقية وليست من الورق الملون .

ولم تشأ أن أفارقها ، فدنت منى وتشبثت بى بيديها وقالت : - وما شأنها يا بيت ؟

- ألحق إننى لا أدرى .. هل كانت صديقتك شيلا من الفجر الذين يحبون الشمعدانات الغريبة ؟

وكانت قد نسيت شيلا لحظة ، ولكنها رفعت رأسها ، وأصفت إلى الأصوات المنبعثة من خلف المسرح ثم قالت :

- إننى سمعت صوتها من جديد .. إننى أعرفه فى أى مكان ... إننى أعرف أنها هناك ... فوق .

ونقلت بصرها إلى الجماجم وشحب لونها . وكان فى مقدورى أن أعرف فيم تفكر .. كانت تقول لنفسها : ■ إننى عثرت على شيلا ، ولكن فى أية ورطة تراها .

وكنيت أحاول التغلب على خوفى شيئاً فشيئاً فأجبت : لأنصحك على كل حال أن تباغتي شيلا فوق فى الظلام وأن تقطعى العرض . لماذا لا ننتظر هنا حتى ينتهى العرض ، ثم نسأل شيلا عن معنى كل هذا ؟

أومأت اليز برأسها ، وقد سرها أن تجد من تعتمد عليه وكانت يداها تضغط على ذراعى بشدة ، وقالت : أشعر بأننى لست على ما يرام . فقلت : - يمكننا أن ننتظر فى الخارج ..

- كلا ، سوف يزول ما بى بعد قليل .. لا أريد أن أجازف بفقد شيلا

وحدقت فى وجهى أخيراً قائلة : - بيت ... هذه الجماجم .. إنها ليست فودو ، أليس كذلك ؟

- إننى لست خبيراً فى هذا الموضوع أيتها الحبيبة . ولكن كل الذى أعرفه هو الدمى المرشوقة بالدبابيس .

ولا أدري كم من الوقت لبثنا فى ذلك الضوء الضئيل المنبعث من الجماجم . ووقفت اليز بجوارى ، ولكننا لم ننطق بكلمة أخرى .. إحتفظ كل منا بأفكاره لنفسه . وكانت أفكارى أنا بالذات مشوشة . وفى أثناء ذلك ، وإستناداً إلى الجلبة . وكان المهرجان ، على أشده فى الميدان .. وفى الجزء الرئيسى من الخيمة كان عرض العرائس مستمرا ، وكانت تصدر من خشبة المسرح نحو ستة أو سبعة أصوات ، ولكن لم أكن أدري أيها هو صوت شيلا رامى ..

وأخيراً ، وبعد ما خلناه دهرنا ونحن فى ذلك المكان الضيق الفاسد الهواء مع الجماجم السبع إنتهى العرض وسمعنا التصفيق الشديد ، يعقبه صوت المشاهدين الذين راحوا يغادرون الصالة .. ولم تلبث أن سمعنا صوتاً صادراً من فوق السقالة ، وبدأ السلم يهتز تحت ثقل شخص يهبط فوقه ..

وإنتظرنا متوترين ، وشدت اليز الضغط على ذراعى الأيسر ، حتى كادت تحطم عظامى ، ورأينا ساقين لرجل غير جميلتين فى بنطلون كاكى باهت اللون ..

وكان يولينا ظهره أثناء هبوطه ، ولهذا لم يرنا .. وكان رجلاً قصيراً لا يزيد طوله عن خمسة أقدام ونصف .. وكان يرتدى قميصاً أزرق باهتاً قذراً وكانت رأسه كبيرة بالنسبة لجسمه ، وبدت غير متناسقة تحت شعر كثيف غزير مجعد يخوطه المشيب هنا وهناك ..

وكان واضحاً أنه لا يعلم بوجودنا ، لأن الدهشة الحقيقية إرتسمت على وجهه عندما بلغ أسفل السلم وإستدار إلينا .. ولم تلبث دهشته أن تحولت إلى إحساس آخر .. ظل من الشك أو الخوف .. ولكن هذا الظل لم يلبث أن إختفى هو الآخر ، وإبتسم وإنحنى أمامنا ..

وعلى الرغم من إبتسامته لم أحب وجهه ، فقد كان مستديرا ، وكانت وجنتاه منتفختين وحمراوين كما لو كان قد صبغهما بالأحمر ، وشفثاه مكتنزتين تبدوان كما لو كانتا مختصبتين بأحمر أشد إحمرارا من أحمر وجنتيه . وعيناه واسعتين براققتين سوداوين تحت حاجبين كثيفين لعلهما هما اللذان جعلاه يبدو مشدوها ، وكان شعرهما مستقيماً ومشدوداً .. كل هذه الألوان الصارخة جعلته يبدو كوجه دمية .. دمية بعيدة عن الجمال ، بدت أقرب إلى العفريت أو القزم الصغير .. وكان وجهه يتلألأ تحت ضوء الشموع ..

قال فى صوت به رنة من التكلف : - مساء الخير ، وكان يتكلم كما لو كان يتلو أحد أدوار عرائسة ، مع فارق واحد هو إنه كان يتكلم اللغة الإنجليزية ..

ولابد أن اليز كانت أشد هدوءا مما تبدو ، ولابد أنها لمست حذر الرجل كما لمستة أنا ، لأنها لم تندفع وتوجه إليه السؤال الذى كنت أخشاه وهو « أين شيلارامى ؟ » .

كان سؤالها على العكس يقظاً حذرا لأنها قالت : - أين باقى الممثلين ؟

نظر الرجل اليها فى إستغراب وفى غير إدراك ، فإستطردت تقول فى نفس الحرص : - إننا رأينا العرض وسمعنا الأصوات المختلفة ، وتساءلنا كم من الأشخاص يقومون بعرض مثل هذا .. أعنى شد الخيوط والنطق بكل هذه الأصوات المختلفة ؟

وأظن أن الحيلة جازت على الرجل ، لأنه لمس الأطراء فى السؤال فإنحنى مرة أخرى ، أكثر من المرة السابقة وإزدادت إبتسامته وقال فى زهو : - أنا الممثلين ..

وكنيت أرقب اليز فرأيتها تتردد .. وعرفت إنها تسأل نفسها هل

أخطأت فى معرفة ذلك الصوت .. ولكنها لم تصب بأى ذعر ، وكان سؤالها التالى أكثر حذراً من سابقه فقد قالت : هل تعنى أنك أنت الذى تتكلم بكل هذه الأصوات المختلفة ؟ ... ولكن بعضها أصوات نساء ..  
هز الرجل كتفيه وقال وهو لا يزال يادى الرضا : - أنا كل هذه الأصوات .. أنا الممثل الوحيد ..

إزداد إرتباك اليز فأسرعت أقول محاولاً تغطيتها : - عظيم .. إنك تقدم عرضاً رائعاً .  
أجاب الرجل هذه المرة وهو ينحنى حتى كاد أن يلمس الأرض : - أشكرك .

ولبتنا دقيقة لا ينطق أحدهنا بشيء .. وبدأ أن الرجل ينتظر أن نحياه وننصرف .. ولكن اليز لم تكن متأهبة للرحيل ، فقد راحت تحقق فيه ، ولعلها كانت تتأهب لإلقاء سؤال غير حكيم .  
ولعل السؤال الذى ألقته أنا لم يكن حكيماً هو الآخر ، لأننى قلت :  
- وما فائدة هذه الجماجم ؟

ولكنه أسرع يرد دون أن تبدو عليه أية دهشة : - إنها جماجم حقيقية .

قلت : - نعم .. أعرف ذلك .. ولكن ماذا تفعل بها ؟  
إزداد إحمرار وجهه .. بدأ كأحدى عرائسه بوجهها الصارخ فى الإحمرار وفى تعبيراتها الصناعية .. وقال :  
- ألن تضحك منى ؟ - كلا بالطبع .

- حسناً .. أنا رجل أو من بالخرافات وأعتقد أن الجمجمة تجلب الحظ ، ولهذا جمعت هذه الجماجم من كل بقاع الأرض .. وجدت بعضها وإشتريت البعض الآخر .. وقد جلبت لى الحظ ..  
سألته : - من كل بقاع الأرض ؟

أجاب فى فخر : - نعم .. إننى عرضت عرائس فى كل البلاد وإسمى ترينكولو ..

ونطق بالاسم فى زهو كما لو كان اسماً مشهوراً .. وذكرت له اسمى  
وقدمت له اليز فقال : - عظيم .. أنتما الإثنان أمريكيان إذن ؟ هو ذلك .  
- إنتى أحب الأمريكان كثيراً ..

واستطرد يقول وهو ينحنى : - أرجو أن تلتمسا لى العذر لحظة ..  
وكان له ما يريد ، ورأيناه عندئذ يقوم بشيء غريب ، فقد مضى إلى  
الجماجم وأطفأ الشموع واحدة أثر الأخرى ، وكان يضع يده فوق  
الفجوتين فيحرم نار الشمعة من الأوكسجين .. وكان يقوم بعمله هذا فى  
شيء من الخشوع والإحترام ، كما لو كان كاهناً أمام المذبح ..  
وإزدادت ظلمة الغرفة شيئاً فشيئاً ، ولم تلبث أن أصبحت فى ظلام تام  
بعد أن إنطفأت آخر شمعة .

وكنت أنا وإليز لا نزال نتماسك بالأيدى .. وقد ضغطت على يدى  
عندئذ كما لو كانت تدعونى إلى نجدتها .. وخشيت أن تصرخ ، أو  
إن تندفع نحو الباب أو أن تفعل أى شيء آخر ، ولكن بعد لحظة وجيزة  
حك صديقنا عوداً من ، الثقاب وأشعل مصباحاً غازياً ، لم يرسل  
كثيراً من الضوء ، ولكن يجب أن أعترف بأن ضوءه كان مريحاً ..  
وقلت : - أظن أن من الأوفق أن ننصرف ..

ولكن اليز بعد أن كادت تموت من الخوف أكثر من مرة فى هذه  
الغرفة كان لا يزال لديها بعض الجرأة لأنها قالت :

- مستر ترينكولو .. هل نستطيع أن نرى خشبة المسرح وعرائسك  
قبل أن ننصرف .. إن عرائسك قد خلبت لى لفرط حيورتها ..  
ولعل الرجل القصير أراد أن يتباهى ، أو لعله تصور أن هذه هى  
الطريقة الوحيدة لكى يتخلص منا .. مهما يكن فقد تقدم إلى الستار  
ورفعه ، وأشار لنا أن نصعد إلى خشبة المسرح ..

كان إرتفاعها نحو متر ، ولم تكن هناك أية درجات . وعاونت إليز  
على الصعود ثم صعدت بدورى .. وتبعنا ضيفنا بوثة واحدة رشيقة ..



ووجدنا أنفسنا فوق منصة الإستماع ، وكان بها ضوء أكثر ورأينا العرائس أمامنا ، وكانت مصفوفة كما لو كانت لكى تلقى بالتحية الأخيرة .. وكانت كل منها أكبر مما كنت أتوقع ، نحو ستين سنتيمترا تقريباً .. وكانت مصنوعة بطريقة فنية بارعة ، وجوها مطلية بألوان زاهية طبعاً ولكنها كانت تبدو كما لو كانت حية ..

وكان ترينكولو يشرح شيئاً ما ولكننى لم أكن أصفى إليه ، فقد ذهلت لهذه المصادفة .. كانت هناك سبع عرائس .. وسبع جماجم .. وأشارت إلى ترينكولو بذلك ولكنه لم يزدعن أن إبتسم وقال :

- قلت لك إننى أؤمن بالخرافات يا مستر لا نسنج ، وإننى أتفائل بالرقم ٧ ..

ولم تكن إليز بمصغية إلينا ، فقد كانت جائية أمام إحدى العرائس .. فتاة لها شعر أسود وعينان زرقاوان .. وكان يبدو على وجه إليز تعبير غريب ..

وقدم لنا ترينكولو أيضاً عن طريقة إستخدامه للخيوط التى تحرك العرائس ، وحاولت أن أبدى إهتماماً ما حتى لا يلحظ ما أعتري إليز .. وعند أول فرصة شكرته وأنا أقول أن الوقت قد حان حقاً للإنصراف ..

ولم تعترض إليز هذه المرة .. وبعد دقيقة واحدة ألفينا أنفسنا فى الميدان ، وكان لا يزال مزدحماً بالناس .. ومرة أخرى تقدمتها فى الطريق وأنا أشق الحشود وإبتعدنا عن المسرح بضع خطوات .. وعندئذ توقفت فجأة ورفعت عينيها إلى وقالت : بيت يجب أن أقول لك شيئاً .

- ماذا يا حبيبتي ؟

- تلك العروس تشبه شيلا كل الشبه ..



وفى أثناء الإفطار ، فى صباح اليوم التالى كانت تبدو مختلفة ..  
كانت ملامحها متعبة وزائفة العينين كما لو كانت لم تنعم بالنوم جيداً ..  
ولكن كان يبدو أنها قد صممت على شىء على الرغم مما تشعر به  
من خوف ..

وعرضت على صورة دقيقة بالألوان لفتاة فى مقتبل العمر ، عارية  
الكتفين ذات شعر أسود وعينين زرقاوين وهى تقول : - ها هى شيلا ..  
ألا تشبه تلك الدمية .. - إننى لم أنظر إلى الدمية عن كثب يا حبيبتي ..  
ثم أن الصورة الفوتوغرافية غير أمينة فى أكثر الحالات ، ويكفينى أن  
أصدقك ولكن ، ماذا نفعل الآن ؟

قضينا النهار نتجادل فى هذا السؤال ، فتجولنا فى الشوارع فى  
الصباح ثم إستلقينا على الشاطئ طوال بعد الظهر ..  
كانت جميلة جداً فى المايوه الأبيض ، وكان من قطعة واحدة كما  
توقعت .. وكان يلتف بقامتها ويشدها دون أن يبرز مفاصلها أكثر من  
اللازم .. وكان من المفروض أن أركز تفكيرى حول الفتاة المختلفة أكثر  
من أن أركزه حول الفتاة التى معى قلباً وقالياً ..

ولكننى لم أفصح كثيراً مع شيلا كما لم أفصح مع إليز كانت النتيجة  
الوحيدة التى وصلنا إليها أنه ليست هناك أية جدوى من إبلاغ البوليس  
لا لشيء إلا لأن هناك دمية تشبه شيلا وتتكلم بصوتها فى نفس الوقت  
فاننا لا نستطيع أن نثبت أن هناك أية رابطة بين ذلك وبين اختفائها .  
وأكدت ليزا أن رجال البوليس سيسخرون منا إذا نحن رويناهم هذا  
الهدر ..

كان الشىء الوحيد الذى نستطيع أن نفعله هو أن نهتم بترينكولو  
بطريقة مباشرة وغير مباشرة كذلك .. لم نكن نستطيع أن ننتهمه بأى  
شىء لأننا لم نكن نملك أى دليل ، ثم إننا لم نكن نعرف بماذا ننتهمه ..

كانت أول مشاكلنا هي إكتشاف الحقيقة .. وأكفهر وجه اليز وراحت تقول : - هذه جزيرة فودو ..

- إننى أعيش هنا منذ أربعة سنوات يا حبيبتي ولم أسمع أبداً أحداً يقول عن هذه الجزيرة إنها جزيرة فودو ..

- ولكنك إعترفت بأنك لست خبيراً فى هذه الناحية .

- حسنا .. حسنا ..

- إذا جمعنا هاتين الحقيقتين معاً وهما أن هذه الجزيرة هي آخر مكان جائتني منها أنباء من شيلا وأن الدمية تشبهها كل الشبه وتتحدث بصوتها فإنها لتكون مصادفة غريبة ..

- ولكن من المحتمل أن خيالك يشتط قليلاً أيتها الحبيبة ، فإنك لا تفكرين إلا فى شيلا وخيالك يدور حول صوت ووجه دمية تشبه شيلا ..  
- بيت ، وإذا لم تصدقنى فلا حاجة بنا إلى أن نتكلم فى هذا الموضوع ..

- سأتكلم فى هذا الموضوع طالما شئت أنت يا حبيبى وسأذهب معك إلى كل مكان وأفعل كل ما تريد ..  
كان هذا إرتباطاً منى ولكننى كنت أعنيه حقاً فقد وقعت فى هواها ..

وعدنا إلى مسرح العرائس فى هذه الليلة كذلك وقمنا بنفس ما قمنا به بالأمس ، فقد شهدنا العرض فترة من الوقت ، وكانت اليز تركز كل إهتمامها على الدمية السوداء ذات العينين الزرقاوين ، وهمست لى تقول أنها متأكدة تماماً أن الدمية تشبه شيلا كل الشبه وإنها فوق ذلك تتكلم بصوت شيلا نفسها ..

وعندما بدأ لنا أن العرض يوشك على الإنتهاء أسرعنا إلى الغرفة

الخلفية للخيمة ودخلناها من جديد . وكان كل شيء كالأمس تماما بما  
فى ذلك الجماجم والشموع المضائة ..  
ولم نكن قد أعددنا أية خطة ولا أى عذر نلتمس له هذه الزيارة الثانية  
. وكان لابد أن نتصرف طبقاً للظروف . ووقفنا لحظات ونحن نكتفى  
بالنظر فيما حولنا .

وأخيراً خطر شيء أقدمت عليه دون إستشارة اليز ، ولم يكن  
بمقدورى أن أعرف أين ستؤدى بى هذه الخطوة . ولكن كان العمل  
أفضل من الكلام . وإستقر عزمى فجأة ومضيت إلى حيث الجماجم  
ونفخت فى إحدى الشموع وأطفأتها .

وجاءت النتيجة سريعة ومفاجئة . صحيح إن الحوار الأسبانى  
بأصواته المختلفة الصادرة من بينى شففى ترينكولو الواقف فوق  
السقالة لم ينقطع لحظة واحدة ولكن حدث شيء غريب فلم يكن من  
الميسور لى مقابلة الحديث بسبب اللغة ولكن كان واضحاً أن أحد  
الأصوات تغير بشكل محسوس ، فقد تلثم ترينكولو وارتج عليه القول  
وتنحج دون أن يستطيع النطق بالصوت الأسمى . ولا أدري ماذا فعل  
لإصلاح الأمر ولكن مما لا شك فيه أنه قام ببعض التغيرات فى الحوار  
وجعل عرائسه تتشقلب بصورة إرتجالية .

ولم يلبث أن إنتهى العرض وبوى التصفيق العادى ثم هبط ترينكولو  
من سقالاته بأسرع من الأمس . هبط مسرعاً على خلاف ما فعل  
بالأمس وأظن أنه نظر إلى الجماجم قبل أن ينظر إلينا . ورأى الشمعة  
المطفأة عندئذ فأطلق سبة بلغة لم تكن بالأسبانية ولا بالإنجليزية .

وكنت قد أعدلت أيضاً مقبولا فأسرعت أقول : - أرجو أن تلتمس  
لى العذر لحماقتى يا مستر ترينكولو ، فإننا عندما دخلنا منذ لحظة  
هبت نسمة من الهواء أطفأت هذه الشمعة .

وتحولت عيناه إلينا عندئذ . كان جامد الأسارير ولم أستطيع أن أعرف إذا كان قد رضى بتعليلى أم لا . ومع ذلك فقد إسترد رفته على الفور ، وفى هذه المرة بدأ بإشعال المصباح الغازى ثم أطفأ الشمعات الباقية بعد ذلك ثم إستدار إلينا وقال :

- إنكما عدتما سريعاً أيها الصديقان الظريفان .

- ذلك إن مسرحك أحسن مسارح المدينة كلها يا مستر ترينكولو .

- أشكرك .. إننى قدمت عروضى أمام ملوك ولكننى إغتبط جداً عندما أسمع أن بعض الأمريكان يهتمون بأعمالى . فهم اناس عمليون جداً ومن الصعب إرضائهم .. هلا بقيتما معى لحظة ريثما نتناول فنجانان من الشاى ؟

وأنا لا أحب الشاى بصفة خاصة ولكننى رأيت أن أقبل لكى نتمكن من البقاء معه فترة من الوقت ..

وذهب أولاً فجاء من مكان مظلم ببعض المقاعد التى تطوى وجلسنا ثم أشعل موقداً غازياً وضع الماء فوقه لكى يغلى ..

وفى أثناء ذلك راح يحدثنا عن رحلاته .. وكان حديثه ممتعاً ، ومع ذلك فإنه لم يفسر لنا لماذا تشوش العرض لمجرد أن شمعة إنطفأت .. ولم أشر أنا إلى ذلك ..

وعندما أصبح الماء فى درجة الغليان القى فيه قليلاً من الشاى وتركه حتى ينقع تماماً ثم صبه فى ثلاثة فناجين ، وجاء بعد ذلك بزجاجة صغيرة رفع سدادتها وأمالها فوق الفناجين قائلاً :

- إننى « أحببت الروم فى هذه الجزيرة .. هل لكما فى قليل منه .

ولم يكن هناك أى سبب لكى أرفض .. ولم تنطق اليز بأية بكلمة فقلت له أن يفعل ..

وكان الشراب لذيذا خاصة وأن الروم مع الشاي خلق جوا من المودة والألفة .. وقال بعد لحظة : - هل أستطيع ألقى سؤالا جريئاً جداً ؟  
- وما هو ؟

- أنه يتعلق بالسنيوريتا .. أردت أن أقول لك إنها جميلة جداً .  
- هذا صحيح ..

برقت عيناه اللتان تشبهان عيني الدمية ، وكان قد تغلب على اضطرابه بسبب الشمة وقال :

- آه .. أستطيع أن أقول إنك تحبها كثيراً ..

- هل تقرأ الأفكار يا مستر ترينكولو ؟

- إنني لست أعمى ..

- لم أحدثها في ذلك ولهذا فانت أول من يعرف إنني أحبها ..

- والسنيوريتا هي التي تهتم بعرائسي ، وقد جنت أنت برفقتها ؟  
ساكون صريحاً معك إنني مهتم باليز أكثر من إهتمامي بعرائسك .

تحول إلى اليز بعينين متسعين بريئتين كل البراعة وقال : -

- لا يبقى أمامنا الآن إلا شيء واحد وهو لماذا تهتم السنيوريتا

بعرائس كل هذا الإهتمام ؟

لم أنطق بشيء تاركاً لإليز مهمة الرد .. كان في مقدورها أن تنهرب ، فقد كانت من الذكاء بما يكفي لكي تفكر في أي شيء ، ولكنني أظن إنها لم تشأ التهرب أكثر من ذلك فإن خيالها بنى الكثير من الاحتمالات البغيضة ، وهي الآن تريد بعض الحقائق ..

وإستقر رأيها فجأة وقالت : - مستر ترينكولو إنني أهتم بعرائسك

لأن أحداها تشبه صديقة لي إسمها شيلا رامي وتتحدث بصوتها ..

لم تختلج لترينكولو عضلة واحدة وقال بكل هدوء : - هذه مصادفة

عجيبة يامس مارتيلون ..

قالت اليز : - بل إنها مصادفة مذهشة .

قال ترينكولو مؤمناً : - نعم .. مذهشة جداً .. هناك ملياران من الناس فى بقاع العالم ، ودونا عن الجميع صنعت دمية تشبه صديقك وأعطيتها صوتها .

واستطردت اليز تقول : - بل أنها أكثر من مذهشة لأن صديقتى زارت هذه الجزيرة منذ سنة بالتدقيق وأثناء المهرجان .. وبدأت متمالكة لنفسها ، رابطة الجأش منطقية وقد تبخر خوفها .. وكان ترينكولو رجلاً ذكياً .. كان فى مقدوره أن ينكر إنكاراً تاماً ولكن لا ريب أنه كان يعرف أن فى مقدورى أنا أن أكذبة إذا هو أقدم على ذلك فقد كنت موجوداً فى السنة الماضية ولهذا قال فى رفق ..

- إننى كنت هنا فى العام الماضى وإننى لا تسأل :

وبداً كأنه يفكر ورفع عينيه إلى السقف وضم شفطية وانتظرنا .. وقال أخيراً : - إننى أتساءل هل يمكن أن أكون رأيته وسمعت صوتها ، فإننى أكشف لكما الآن عن سر من أسرار مهنتى وهو أننى أصوغ عرائسى لأشخاص على قيد الحياة .. إننى أبحث عادة عن وجه غير عادى وصوت مثير كوجهك وصوتك . يا مس مارتيلون ، فأنت جميلة جداً ولك صوت رخيم وإننى لأحب أن أصوغ ذات يوم دمية لها وجهك وصوتك ..

قالت اليز فى حدة : - دع الحديث عنى يا مستر ترينكولو .. متى صنعت هذه الدمية التى تشبه شيللا ؟ .

كان فى الإمكان أن يقع فى الفخ عندئذ ولكنه لم يفعل وقال - ولكن عن أية دمية تتحدثين يا مس مارتيلون ؟  
- تلك التى لها شعر أسود وعينان زرقاوان ..

- آه .. إننى أدعوها ستيفانا وأحبها كثيراً ..  
- ومتى صنعتها ؟  
- منذ وقت قريب .. منذ ستة شهور أو أكثر قليلاً ..  
- إنك صنعتها نقلاً عن شيلا رامى إذن ؟  
- هذا جائز .. لن أدعى العكس .. ولكن يجب أن تقولى هذا  
لصديقك فقد يهمها أن ترى دميتى ..  
كانت هذه أبرع لمساته . فقد أنكر بذلك إشتراكه فى إختفاء شيلا  
دون أن تنتهمه بشيء أصلاً . ورأيت إليز تتردد وترتبك هل تنتهمه أم لا ؟  
أو هل تتظاهر بالبرود وتستمر فى إستجوابها عما وقع لشيلا ، أم  
تهاجمه بكل شجاعة وتحاول أن تضيق عليه الخناق .. كان إختيارا  
عسيراً .. وتركها تواجهه على أن إسأبدها إذا ماهاجمته .. ولكنها  
قالت فى رقة : - لا أستطيع لسوء الحظ أن أقول لشيلا أن تأتى لى  
ترى عرائسك فإننى لم أرها منذ سنة .. والواقع أن آخر ما أتانى منها  
كانت بطاقة بريدية أرسلتها إلى من هذه الجزيرة ..  
ظل ترينكولو محتفظاً بمظهره البريء ، ولكننى رأيت من نظرة أنه  
متوتر الأعصاب ولكن لعل ذلك كان أمراً طبيعياً وقال :  
- أنت لا تهتمين إذن بإحدى عرائسى وإنما بما وقع لصديقك .  
وهذا هو سبب وجودك فى مسرحى .. أجابت إليز : - هو ذلك ..  
ألقي إليها نظرة سريعة ثم إنتقلت عيناه إلى .. عيناه الواسعتان  
البريثتان . وكنت قد كونت عنه رأياً نهائياً ولكننى لم أدرك ماذا أفعل ..  
وقال : بقدر ما أستطيع أن أتذكر لم أر صديقك أبداً فى حياتى .  
كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بكثير عندما تركت إليز فى بهو  
فندق الكازا دىلار متمنياً لها ليلة طيبة .. كانت تبدو مضطربة ومتعبة .  
ولكنها كانت مع ذلك فى صحة جيدة ..



ولهذا ما كان أشد دهشتى عندما ذهبت صباح اليوم التالى لإستقاء  
أنبائها فقليل لى أنها نقلت إلى المستشفى .. ولم أنتظر لكى أسأل عن  
التفاصيل ..

كانت مستشفى سانتو كريستوفرو مبنى حديثاً يقع على أجمل  
ساحل من سواحل الجزيرة ، ولم أكن أعرف عنها شيئاً كثيراً فيما عدا  
إنها تضم نخبة ممتازة من الأطباء الأمريكيين وأن جماعة من الراهبات  
تشرف عليه ..

وإستقبلتنى إحدى الراهبات ، وكانت هادئة وقورة فى ثوبها الأبيض  
وقالت لى إننى لا أستطيع أن أرى اليزا لأننى لست من أقاربها ولكنها  
سمحت لى أخيراً أن أرى طبيباً عندما قلت أنه ربما يكون لدى معلومات  
عن سبب المرض الذى أصيبت به .

وكان الطبيب حديث التخرج وقال لى أن اليز تشكو من حمى شديدة  
على أن الأمر ليس خطيراً وأنهم لم يشخصوا مرضها بعد ، ولكن لا  
ريب أنه نوع من الحمى المحلية وإنهم لا يحاولون علاجها فى هذه الحالة  
وإنما يكتفون بمكافحة المرض والعناية بالمريض ، وإن من الأفضل أن لا  
أراها فى الوقت الحالى .

وحدثته عن الشاى الممزوج بالروم فبدأ عليه الإهتمام فى بادىء  
الأمر ولكن عندما قلت له إننى شربت منه أنا الآخر دون أن ينالنى أى  
ضرر زال إهتمامه . ولم أر ماذا أستطيع أن أفعل فتركت رقم تليفونى  
وقلت إنى سأعود فيما بعد وإننى سأتلى اليز شاء أو لم يشأ .. وقابل  
الطبيب قولى هذا بإبتسامة متسامحة .

ومهما يكن من أمر فقد كان لدى ما افعله فى مكان آخر .. كان لابد  
لى أن أرى صاحب مسرح العرائس .



وبدت خيمة ترينكولو غريبة المظهر وفى غير موضعها المناسب فى ضوء النهار ، فقد كانت منفرة ، وخشيت جداً أن يكون ترينكولو قد غادرها ولكننى لم أقدر الرجل حق قدره لأنه كان راقداً فى هدوء فى ركن من الغرفة الخلفية ..

صحت به أوقفه فى غير رفق فجلس وراح يدعك عينيه ثم حدق فى متسائلاً دون أى عداء ظاهر وقال :

- صباح الخير يا مستر لانسنج وكان صوته غلظا .. كان نائماً حقاً ما لم يكن ممثلاً قديراً وصحت به :

- لا خير هناك ..

- ولماذا ؟ - ماذا فعلت باليز ؟

طرفت عيناه وقال : - شيلا رامى أولا ثم اليز مارتيلون الآن .. إننى لم أفعل بها شيئاً .. فتش عنها بنفسك ..

- لم أقل أنها هنا ، فإننى أعلم أين هى .. إنها فى المستشفى ..

بدا عليه الحزن وقال : - يؤسفنى أن أسمع هذا .

- كفى تظاهراً .. نهض فى بطء وبلغت رأسه مستوى كتفى تقريباً

.. ومضى إلى منضدة فوقها أبريق ماء وطست ورش وجهه بالماء ، ثم

جففه بمنشفة قدرة وتنازل أخيراً فرد على قائلاً :

- بماذا تتهمنى هذه المرة يا مستر لانسنج ؟

- بأنك أرسلت اليزا إلى المستشفى ..

- وكيف هذا ؟

- كيف ؟ .. لا أدرى .. أما بهذا الشاى المزوج بالروم وأما بسحر

القيته عليها ..

إبتسم . ولا أظن أنه أدرك إلى حد كان يتعرض لوقوع صريعاً تحت

لكماتى .. ولم أتمالك نفسى إلا خشيت أن يضر ذلك باليز ..

- أما عن الشاى فقد شربنا منه أنا وأنت يا مستر لانسنج ولم  
يصبنا شىء ..

وجلس فوق أحد المقاعد فى حين سألته : - وعن السحر ؟  
- لولا أن السينورييتا الجميلة فى المستشفى لأضحكتنى فكرتك هذه  
يا مستر لانسنج ..

كلا .. إنه لن يستطيع أن يتهرب منى بهذه السهولة .. وأظن إنه  
تأكد من ذلك .. كان يحاول إكتساب الوقت لا أكثر . وقلت له فى تودة :  
أصغ إلى يا صاحبى .. إننى لم أت هنا للعب فإن لدى فكرة معينة عن  
طريقتك فى العمل .. إنك مسئول عن إختفاء شيلا رامى قتلتها واحدى  
هذه الجماجم السبعة جمجمتها هى بالذات وأنت تستخدم هذه الجماجم  
فى عرضك بطريقة لا أفهما .. أن النسمة لا تطفىء تلك الشمعة أمس  
يا تري أنكولو وإنما أنا الذى أطفأتها لكى أرى ما سوف يقع من رد  
فعل .. وقد وقع شىء فى نفس اللحظة التى أطفأة فيها الشمعة ..  
شىء شوش كل البرنامج .. وهذا يتطابق بطريقة غريبة ومنطقية فإن  
شيلا رامى إختفت ولديك دمية تشبهها وجها وصوتا .. ومن المحتمل ..  
ولا ريب أن المعمل يتمكن من إثبات كل ذلك .. ثم أن لديك جمجمتها .

نظر إلى فى هدوء .. وكانت عيناه باردتين كعينى ثعبان . وقال :  
- هل تدرك يا مستر لانسنج ما فى قصتك هذه من غرابة ؟ .. وهل  
تدرك أنه ليس لديك أى دليل على ما تقول ؟

- ربما .. ولكن لا تنس المعمل يا صديقى .. إن فى الإمكان  
التوصل إلى نتائج كثيرة بواسطة المعمل .

لم يكن شديد الثقة بنفسه كما كان يتظاهر فإن الإشارة إلى المعمل  
أزعجته وقال :- ما هى نواياك يا مستر لانسنج .. هل تريد أن تأخذ  
كل جماجمى وتحاول أن تثبت إن أحداها هى جمجمة شيلا رامى ؟

- لو أن اليز لم تكن فى المستشفى لفعلت هذا بكل تأكيد .. ولكنها تهمنى الآن أكثر من أية فتاة أخرى ، وكذلك تهمنى أكثر من سعادتى فى البطش بك ولهذا فإننى على إستعداد للتفاوض معك أرفع عن اليز السحر الذى ألقيته عليها فنغادر أنا وهى الجزيرة ونتركك وشأنك ..  
لم يحاول التظاهر أو الخداع بعد ذلك لأنه قال : - هناك صعوبة .. لنفرض إننى فعلت كل ما تطلب منى ورفعت عن مس مارتيلون السحر فإن فى هذا دليل على إننى أمارس السحر ، وإننى إذا كنت قد مارسته ضد اليز مارتيلون فقد مارسته ضد شيلا رامى أيضاً .. وبهذا أكون قد أعترفت بأننى إرتكبت جريمة قتل يا مستر لانسنج ..  
- قلت لك إننا سننسى كل شىء عن شيلا رامى .  
- حتى إذا أنا إعترفت عملياً بأننى قتلتها ؟

فقد صبرى ودسست يدي فى جيبى وأخرجتها بمسدس شهرته فى وجهه وقلت :

- أفهمنى جيداً .. إذا كانت هناك جريمة قتل فهى تلك التى سأرتكبها الآن عن طيب خاطر ..

ولكننى لم أخفه كما كنت أرجو ، والحق أنه هو الذى أخافنى فقد قال : - توخ الحذر يا مستر لانسنج .. إننى أمسك بالفتاة التى تحبها فى راحة يدي وإذا حدث لى شىء فإننى سأدخل عنها ، وإذا قتلتنى فإنها ستموت حتما .

تراشقنا النظرات لحظة طويلة .. كان ترينكولو قد بقى هادئاً وبازداً بخلافى أنا .. وكان بمقدورى أن أقتله فى هذه اللحظة كما لو كان حشرة حقيرة أو ذبابة ، وقد أدرك ذلك وأدركته أنا الآخر ولكننى قبلت الأمر فإن مصير اليز كان فى يده حقاً .

- إننا فى موقف لا مخرج منه يا مستر لانسنج .. قلت على الرغم منى : - يبدو ذلك .

- الديك إقتراح .. لا شىء فيما عدا الإتفاق الذى عرضته عليك ..  
- إن هذا الإتفاق لا يرضينى يا مستر لانسنج .. لنفرض إننى رفعت السحر الذى القيته على مس مارتيلون كما تقول .. ستكونان طليقين وسيكون فى مقدوركما عندئذ أن تنقلبا ضدى ، وإن يكون لدى غير وعدك بأنك لن تفعل شيئاً وأنا رجل كهل يا مستر لانسنج وتعلمت أن لا أثق بأحد .

قلت : - أخشى إذن أن نبقى هنا حتى يوم الحشر .  
وأخذت مقعداً وجلست أمامه مصوباً مسدسى إلى صدره فقال :  
- إننى شديد الإعجاب بك يا مستر لانسنج فإنك وفتاتك تتمتعان بصفة عجيبة هى الإصرار .. وكل منكما شجاع وذكى وقد خمنتما سرى تقريباً كما خمنتما ما حدث لشيلا رامى ..  
- ماذا حدث لها بالدقة إذن ؟

- سأذكر لك ذلك يا مستر لانسنج ، ولعنا ، إذا فهمت ، نستطيع أن نجد مخرجاً أو حلاً لمشكلتنا .

تركته يتكلم ولم أقاطعه وإستطرد يقول : - لن أكشف لك جوهر سرى وسأكتفى بأن أقول ماذا فعلت دون التعرض لكيف فعلت .. إن لدى مواهب فى السحر إكتسبتها شيئاً فشيئاً من البلاد التى تنقلت فيها ، والذى أعرفه بعيد عن قودو هذه الجزائر وهاموية أوروبا وإستحضار الأرواح التى تمارسها بعض البلدان .. أنه تركيب يضم خلاصة كل ما فى هذه التجارب .. ولم إتعرض لكل هذا لمجرد المعرفة يا مستر لانسنج وإنما لغاية واحدة ..

وصدقته لأننى لمست فى صوته رنة صدق وإخلاص كبيرين ..

- إننى سليل أسرة كبيرة من الممثلين يا مستر لانسنج كل أفرادها طوال القامة ذوو سامه وجمال ، إلى أن أتيت أنا ، وأنت ترى حالتى .. لست قزماً ولا مسخاً تماماً ، ومع ذلك فأننا دميم الخلقة ومشوه لا أصلح للظهور أمام جمهور النظارة .. ولهذا السبب إشتغلت بعرض الدمى والعرائس ، وهذا حل جميل لأن عرض الدمى فن كبير ولكن للأسف .

وتحطم صوته وبقي لحظة صامتاً ولعله تذكر ذكريات حزينة لأن عينيه أغرورقتا بالدموع .. وقال أخيراً : للأسف لم أكن فنانا عظيماً ، لم أكن فى مستوى مهمتى فقد أفترقت إلى البراعة والإبداع الخلاق .. إن الممثل يقوم بالدور الذى يملى عليه .. أما عارض الدمى فيجب أن يقوم بكل الأنوار .. يجب أن يكون هو كل الممثلين فى نفس الوقت ، ولم تكن لى القدرة على ذلك .. وتملكنى اليأس وتمنيت أن أبيع روحى للشيطان فى سبيل الحصول على هذه المقدرة .

وطرفت عيناه لكى يبعد دموعه وبدأ أنها جفت على الفور وعادت النظر الخبيثة إلى عينيه وإستطرد :

- هل تفهم الآن يا مستر لانسنج ؟ .. لكى أصبح عارض دمى ناجحاً كان لابد من الحصول على شخصيات عديدة ، وأين أستطيع الحصول عليها إلا من أناس آخرين ؟ رأيت كيف أن ممارسة الفن المسرحى حملتنى منطقياً إلى ممارسة السحر الأسود ؟ .. تعلمت وجربت كل أسرارهِ .. التنويم المغنطيسى فى بادئ الأمر فبواسطته أستطيع إستعارة أية شخصية مؤقتاً .. ولكن الإستعارة لم تكن كافية .. كان لابد لى من الإستيلاء التام .. كان على أن أسرق « شخصياتى » صدقنى ، إننى حاولت فى البداية أن أسرقها برفق وبدون عنف ، ولكن لم يكن ذلك بالأمر المستطاع .. كان لابد لى من القتل ، وكان يتعين على إنتزاع الروح من الجسد قبل أن يموت تماماً .. هل تعترض يا مستر

لانسنج على إستخدامى كلمة « روح » .. ولكنها التعبير الوحيد الذى  
مكنتى إستخدامه مع ذلك .. وقد سرقت سبعة أرواح .. وهى تقيم الآن  
منفصلة عن أجسادها ، فى الجماجم السبعة ، وكل ما على هو أن  
أشعل هذه الشموع لكى تعود هذه الأرواح إلى الحياة بأشخاصها  
الأصلية وتقدم العابها وتتكلم من خلال شفتى فإن الخيوط التى أحركها  
تهبط إلى أعماق مملكة الموت .

صدقته ، فقد كانت اليز فى مستشفى سانتو كريستوفرو ، ولهذا  
كان لابد لى من أن أصدقه .. وسألته :

- وهذا هو نفس ما تحاوله الآن مع اليز ؟ .. تريد أن تقتل جسدها  
وتسلبها روحها ..

هز كتفيه وقال : فى الليلة الماضية ، وأنا مستلق فى فراشى ومس  
مارتيلون تنقلب فى فراشها فى فندق الكازا دلمار درست روحها جيداً ،  
وأنا لا أريدها الآن إن صديقتك جميلة يا مستر لانسنج ولكنها ليست  
بذات أهمية بالنسبة لى ولا أهتم بها الآن إلا حفاظاً على حياتى ..  
كان يمكنى مناقشته فى هذه النقطة ولكنى لم أشأ المجازفة بتحريك  
شهيته لها وإستطرد هو يقول : وأصل الآن إلى التسوية التى يمكن أن  
نعقدها معاً فقد إستقر رأيى أخيراً على أن روحك هى التى أريدها ..  
صحت فى ذهول : - روحى أنا ؟

- أنت رجل فريد يا مستر لانسنج ... ذو روح منطلقه ، ثم إنك  
شاب قوى ووسيم وموهوب ، واسع الحيلة والخيال .. ومع ذلك فإنك  
أثرت أن تترك حضارتكم وأن تعيش فى هذه الجزيرة هذه المعيشة  
البسيطة .. سيكون لك دوراً رئيسى فى مسرحى ..

تملكنى الخوف والذهول معاً ولكنى أجبته بعنف : - تريد أن  
تستبدل روحى بزوحها إذن ؟ - نعم ..

- كيف أتأكد إنك لن تحاول أن تأخذ روحينا فى نفس الوقت ؟

إبتسم ترينكولو وبسط ذراعيه إلى الأمام وقال : -لأن هذا محال ،  
فلو أنه كان فى إستطاعتى أن آخذ روحيكما معاً لفعلت بالأمس .. تذكر  
إنك شربت ، أنت أيضاً ، من ذلك الشاى الممزوج بالروم ولم يصبك شىء  
لا أستطيع الإستيلاء إلا على روح واحدة كل مرة .. وهذا العمل وحده  
يقتضى منى أياماً كثيرة وأحياناً أكثر من أسبوع ، إذا كانت الروح  
قوية ومقاومة ، وأعتقد أن روحك من هذا النوع .. يجب أن أركز كل  
إهتمامى على الروح التى أريدها وأن أستخرجها من جسدها قبل أن  
يسبقنى الموت إليها .. وروحى أنا لايمكن إلا أن تكون فى مكان واحد  
آخر فى لحظة معينة .. إنها معركة أخرج منها دائماً ظافراً يا مستر  
لانسنج لأن روحى هى الأقوى .. هل تفهم ؟

فكرت لحظة فى صمت وقال ترينكولو : - حسناً يامستر لانسنج ..  
أن مسدسك يمكن أن يمنعنى عن إستخراج روح مس مارتيلون ، ولكن  
إذا أنا مت فإنها تموت هى الأخرى كما قلت لك ..  
لم تكن صفقة طيبة طبعاً ولكن لم تكن لى حيلة ولم يسعنى إلا أن  
أقول : - إتفقنا ..

إبتسم ترينكولو إبتسامة عريضة وقال : - هل تريد أن نناقش  
التفاصيل ونحن نتناول كأساً من الروم .  
رافقت اليز إلى المطار بعد ذلك بيومين .. ورأيت طائرتها تنطلق فى  
رفق وتحلق فى الجو وتغدو نقطة صغيرة قبل أن تختفى نهائياً نحو  
الشمال .

وجدت عنوان اليز فى دليل تليفون مدينة مانهاتن فأخذت سيارة  
أجرة إليه .. كانت تقيم فى مسكن بسيط مما يدل على أنها تمر  
بضائقة مالية وإنها لم تنجح فى عملها بعد ، وقد كنت من الأنانية بحيث  
اغتبطت لذلك .. وصعد بى المصعد إلى حيث مسكنها وطرقت الباب ..



وجائنى صوتها من خلف الباب وهى تسأل فى ضعف من الطارق ؟  
وأثارنى صوتها ، فلم أكن قد سمعته منذ وقت طويل ، ولست رنة  
الإنفعال فيه كانت خائفة . مسكينة اليز ! لم تنس جزيرة الفوبو بعد .  
وأجبته أقول : - أنا بيت لانسنج ..

وسمعت خطواتها وهى تسرع نحو الباب ووثب قلبى بين ضلوعى من  
الفرح .. كانت تخاف أن تفتح الباب لأى أحد ولكنها ستفتحه لى أنا ..  
وصاحت :- إننى قادمة يا بيت ..

وانفتح الباب ولكن بمقدار سنتيمترات قليلة لأنها كانت قد وضعت  
سلسلة الأمان ونسيت أن ترفعها فى لهفتها .. وتبادلنا النظر لحظة  
خاطفة من خلال الفتحة الضيقة التى سمحت بها السلسلة ورأيت  
إبتسامتها تختفى والشحوب يعطو وجهها وقالت لاهثة :- ترينكولو ! ..

وصفقت الباب قبل أن أتمكن من إيقافها وسمعتها تضع المزلاج ..  
وصحت : - كلا .. إنك لا تفهمين يا حبيبتى اليز .. صحيح أنه  
جسد ترينكولو ولكن الواقع إنه أنا .. بيت لانسنج .. أنه قتل جسدى  
وحاول أن يسلبنى روحى ولكنى كنت أقوى منه فسلبته روحه ..

ولكن كيف يمكن أن أشرح مثل هذا الأمر خلال باب مغلق لإمرأه  
مذعورة لا تريد ولا تستطيع أن تسمع ..

وهبطت السلم وأنا أسى محزون وخرجت إلى الشارع وأخذت أمشى  
مدة طويلة وأنا غارق فى الأفكار .. كنت أحب اليز وكنت أريدها ، ولم  
أكن لأستطيع أن أعيش بدونها ولكن كيف أستطيع الوصول إليها  
بجسد ترينكولو ..

هناك طريقة بالطبع .. طريقة ترينكولو !

★ ★ ★



## السائق الأزرق

كان الظلام قد بدأ ينتشر ، وراحت الخيوط البيضاء تتضاغل أمام الخيوط السوداء، وأخذت أغلب السيارات تستخدم مصابيحها ، ولكن هارى إيفانس لم يخطر له إضاءة مصابيحها بعد .

لم يخطر له أن يفعل ذلك ، وما كان في مقدوره أن يفعل دون أن يضطر إلى رفع يديه عن عجلة القيادة لإدارة مفتاح النور .. كانت سيارته من نوع أوتوماتيكي وكانت منطلقة كالغزال المذعور الذى يفر حين يشم رائحة الرجل .

كان إيفانس منطلقاً بسرعة ١١٠ كيلو مترا ، وكان قد ظل محتفظاً بهذه السرعة طوال الجزء الأكبر من فترة الأصيل .. وقد خشى أن يتجاوزها خوفاً من شرطة المرور الذين يختبئون خلف لوحات الإعلانات وخلف الجدران . وراح يحدق فى الطريق الذى أمامه وهو يحاول أن يتناسى المرآة العاكسة ، فإن إنعكاس الأنوار الحمراء التى تتبعث من بعض الحانات التى تقع على جانبي الطريق كانت تكفى لكى تملأه رعباً ، ولكى يضغط على مفتاح السرعة .

نعم ، كان ذلك أمراً مؤكداً كان على يقين من ذلك لقد أصبح قاتلاً ،  
فإن الجنة لا ريب إنها موجودة الآن فى المشرحة ، على مسافة ثلاثمائة  
كيلو متراً خلفه أو لعلها ترقد الآن فى إحدى المؤسسات المخصصة  
لدفن الموتى .. ولعل هناك الآن نساء تجفف دموعها وهى تطهى الطعام  
للأرملة المفجوعة وللأولاد اليتامى ، ولاريب أن وجوه الرجال تقطر  
حقداً وغلا ، فهكذا الأمر دائماً عندما يقتل أحدهم رجلاً .. كان  
إيفانس يستطيع أن يتذكر ذلك فقد عاش هذه التجربة منذ حداشته .

عرف الحقد والخوف طوال حياته . عرفها بعد أن أقدم أبوه على  
القتل هو الآخر عقب مشاجرة فى أحد البارات ، وقد راح بعض  
الرجال يحومون بالبيت بعد ذلك ولكن لم تكن لهم أية فائدة بالنسبة له لا  
عطف ولا حب ولا مال .. ولا صديقات ولا أى إحترام .. ومع ذلك فإن لك  
الحق فى شىء من كل هذا حين تكون فى العشرين من عمرك .

وصاح يخاطب رجل البوليس الذى يراه فى مخيلته فى حين راح  
العشب والمزروعات الخضراء يضيع أثرها خلفه ..

- ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد .. أردت أن أكون  
شخصاً ذا أهمية فحسب .. لم يكن فى نيتى أن أقتل .. كل ما كنت  
أنشده هو النقود لا أكثر ..

لم يجبه رجل البوليس .. وإندفعت السيارة فى الطريق .. يلفها  
الظلام .. وهز إيفانس كتفيه الضيقتين تحت سترته الجلدية السوداء  
وقال : - إنما وقع ذلك قضاء وقدرأ .. وهذا كل شىء ..

وإستمر فى تفكيره فقال : - لو أن الرجل لم يتحرك لما حدث أى  
شىء . ولا ريب أنه أصيب بمس من الجنون

وقد حاول إيفانس أن يفرغ من الأمر سريعاً ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ ... نزهة فى عربة كبيرة سوداء ... ولكن لابد من الهدوء ... يجب أن ينطلق بسرعة مائة وخمسة عشر كيلو مترا فإنه بهذا يسرع ، ومع ذلك فإن راديو البوليس أسرع .

كان هواء الليل البارد يتسرب من النافذة المنخفضة ، ولكن إيفانس كان يتصبب عرقا . والتصق قميصه بإبطيه وهيج جلده . وسرت الرعشة فى بدنه وتوتر جفنه الأيسر فى عصبية . ربما تنشر الصحف صورته إذا ألقى رجال البوليس القبض عليه . وحاول أن يبتسم .

وذابت أمامه الشوارع المختلفة فى شارع واحد تقوم اليوم على جانبيه . وإنبعث من النوافذ نور أصفر وراحت سيارته تقطع شريط الأسفلت الضيق . وكان يريد أن يبطىء ولكن قدمه لم تطاوعه . وكان لا يزال أمامه بعض الوقت فإن الطريق الكبير العام لا يبدأ حقاً إلا بعد نحو ثمانمائة متر .

ولكن لم يلبث أن ظهر أمامه شبح فجأة . وسمع إيفانس نباح كلب . وتوترت يدها شيئاً ما على عجلة القيادة . وقال يحدث نفسه لو أنه دأس هذا الكلب فإن الغلطة ستكون غلطته . وإن دفع محققاً محدودب الظهر . ولكن ذلك الشبح الغامض الذى تواجد فجأة أمام السيارة لم يكن كلباً .

ولدة لحظة وجيزه رأى إيفانس تنورة قصيرة وساقين صغيرتين عاريتين وذراعين ثم وجها . وجها كانت لا تزال ترتسم عليه ابتسامة لم تكن قد وجدت الوقت بعد لكى تتحول إلى نظرة فزع .

وصدمت مقدمة السيارة الطفلة الصغيرة صدمة صماء دفعت بها فوق غطاء السيارة ممدودة الذراعين متوتره الساقين ، وتطايرت تنورتها مع الريح ، ثم لم تلبث أن وقعت على حافة الطريق واختفت عن عيني إيفانس .

وفي اللحظة التي صدم فيها الطفلة رفع قدمه بحركة غريزية عن دواسة البنزين لكي يدوس على الفرامل ، وحدثت العجلات صريراً قوياً وابتعثت في الجورائحة كاوتشوك محترق ، وتوقفت السيارة في عنف ، وإسابت جانبيا ، وتوقفت أخيراً في عرض الطريق .

وجد إيفانس صعوبة شديدة في جمع أفكاره . وحاول أن يبلل شفتيه ، ولكن لسانه كان جافاً . وأحس بزيكته ترتعشان ، وراحت عضلات فخذه ترتجف .

ياللحظ السيئ ! لقد صدم طفلة كانت تجرى في الطريق خلف كلبها ! أكان لابد أن يصل إلى هذا المكان في هذه اللحظة بالذات ؟ .. ولماذا هو دون غيره ؟ لن يصدق أحد أبداً أنه غير مخطيء . وإن لرجال الشرطة طريقة عجيبة في تكييف الأشياء . أن من يقتل لا يحجم عن القتل ثانية . يجب أن يبتعد عن هذا المكان حالا .

عندما أحس بأنه صدم الطفلة أوقف المحرك فجأة فتوقفت السيارة في عنف . وعندما رأى أن من الخير له أن يبادر بالفرار أطلق المحرك من جديد فاندفعت السيارة إلى الأمام ، ولكنها عادت فتوقفت . ذلك إنه كان قد نسي أن يغير من وضع مؤشر السرعة عندما وقف فجأة . وعاد

يقول لنفسه : يجب أن تفكر ... وراح ينظر حوله وقد تملكه الذعر ليس هناك أية سيارة فى الطريق . وكان هناك ، خلفه بقليل ، وعلى جانب من الطريق كتلة مظلمة ، بدت على ضوء نور أصفر منبعث من نافذة أشبه بكتلة من الثياب القذرة راح الكلب يتشمعها وهو يهز ذيله . وحول إيفانس عينيه .

وسمع عندئذ أصواتا ... ونداء ، صرخة فى جوف الليل ، « جين » وعلى الفور أدار المحرك ، وإنطلق كالعاصفة لا تتفعل فكر ولا تسرع كان يمضى الآن فى الطريق العام . وكانت هناك بعض المحلات على الجانبين واجهاتها مظلمة . ولكن كانت هناك محطتان للبنزين كان النور لا يزال ينبعث منهما ، ويضع سيارات تنتظر بجوار الأفريز ... وكان الوقت وقت تناول العشاء .

وظهرت ثلاثة سيارات أخرى كانت آتية من الناحية المضادة . كانت تنطلق أحداها خلف الأخرى ، ولم يكن بأى منها نور أحمر وهاج . ولم ينبعث من أى منها صوت السرينة ، ومع ذلك فقد أبطأ إيفانس حتى لا يثير الشبهة . وضغط بأصبعه على عينه اليسرى التى لم تكف عن الإهتزاز .

وراح قلبه يدق بشدة وهو ينعطف فجأة إلى اليمين ، فى زقاق يقع بين مصنعين . لم يكن به أى ضوء ... كان الظلام حالكا ، وأوقف إيفانس المحرك .

كان على يقين من أن أحدا لم يره وهو يدخل الزقاق . وما عليه الآن إلا أن ينتظر . كانت هذه حركة بارعة منه حقاً ، فإن الجميع سيعتقدون

أنه استمر فى طريقه إلى الأمام محاولاً مغادرة المدينة وإن رجال البوليس سينطلقون فى أثره بكشافاتهم الحمراء التى تبدد ظلمات الليل وبأبواقهم المدوية .

ما أغبى رجال البوليس ! ... ما عليه إلا أن ينتظر حتى يرى سياراتهم المزودة بالراديو تمر فى آخر الزقاق ثم يعود إلى الشارع ويعود من الطرق الذى جاء منه حيث صدم الطفلة الصغيرة ثم يمضى بعد ذلك إلى المدينة المجاورة فهى أكبر من هذه القرية الصغيرة وسيتيسر له أن يختفى فيها ، وكنتم ضحكة بدت أشبه بالعويل .

أنه لم يرد بالطفلة أى شر إنما كان حادثاً وقع قضاء وقدرأ سوء الحظ لا أكثر ثم أنه لم يشأ أن يقتل أحداً إن كل ما كان يبغيه إنما قليل من النقود ، لكى يتمكن من قضاء وقت ممتع ، ولكى يحس بأنه أصبح شخصاً له أهميته ، فإن المرء لا يكون شاباً غير مرة واحدة . يجب أن يعيش كل امرئ وإن يتمتع . لماذا لم يكتف هذا الأحمق بأن يعطيه النقود ؟ عندما يشهر شخص مسدساً فإن الناس يجب أن ترهب جانبه ، وحتى الأغبياء مفروض أن يمتلكهم الخوف عندما يرون مسدساً فى يد أحد .

لقد قال له : - إننى لا أمزح أيها السيد . إذا تحركت ... ولكن ذلك الأحمق إندفع نحوه ، ولم يكن فى نية إيفانس أن يضغط على الزناد أبداً ، وقد إنطلقت الرصاصة وحدها ... وسرت الرعشة فى جسده من جديد عندما تذكر ذلك .

ردوت سرينة فى الشارع . ولوى إيفانس جسده النحيف لكى يستطيع أن يرى من النافذة الخلفية للسيارة .

ودوى صوت السرينة فى الزقاق وإرتد صداها بين جدران المصنعين، وإخترق النور الأحمر الظلام لحظة، وإنطلقت سرينة أخرى أشد قوة من الأولى ، ومر نور أحمر آخر ثم تلاشى الصوت بعيداً .

وسرت الرعشة فى بدن إيفانس وهو ينطلق من جديد.. وخرج من الزقاق ومضى إلى الشارع، وإنعطفت إلى اليمين فى أول شارع صادفه متجهاً إلى الطريق العام ثم إنعطف إلى اليسار عائداً من حيث أتى .

وكان الناس قد خرجوا الآن من بيوتهم ، وراح بعضهم يجرى . وصدى وقع خطواتهم ترده جدران المنازل .. ورأى إيفانس ، على ضوء النور الأبيض المنبعث من مصباح سيارة البوليس جمعاً من الناس ، وكانت الأنوار الحمراء تدور ورجال الشرطة فى كل مكان ، كما كانت هناك عربة إسعاف ، ولا ريب إنها قدمت من المدينة المجاورة .. وكان بوقها قد توقف لتوه .

وكان هناك شرطى يمسك مشعلاً ، ويدير حركة المرور .. وأشار لسيارتين كانتا تتبعان عربة الأسعاف ، وراح ضوء مصباحه الكهربائى يرقص فى جوف الليل

ولم يكن إيفانس يبعد عن ذلك الشرطى بأكثر من عشرة أمتار .. لم يكن يحتاج إلى أكثر من الجرأة ، وما أن يمر حتى ينجو .

وتحول الشرطى إليه .. وأضاء نور مصباح مقدم السيارة التى يعلوها الغبار ، وبهر عين إيفانس .. وصاح الشرطى ببضع كلمات . فتجمد الدم فى عروقه وتوترت أعصابه ..



وصاح به الشرطى من جديد ، وفهم ايفانس أخير : - مصباحك !  
وأسرع فأدار المفتاح بأصابعه المرتعشة ، فانبعث النور من  
المصباحين الأماميين ، وأضاء الطريق أمامه .

وصاح به الشرطى فى غضب ، وهو ينحنى بجوار باب السيارة من  
ناحية ايفانس : - هل ترى ان تقتل الناس .

هز ايفانس رأسه ، وحول الشرطى نور مصباحه فى فروغ صبر  
وقال : - هيا .. أمض فى طريقك .

مر ايفانس بين الجموع المحشدة فى بطاء .. كان الباب الخلفى  
لسيارة الإسعاف مفتوحاً ، وكان هناك رجال يرتدون ثياباً بيضاء  
يخرجون منها مجفة .. وأجبر نفسه على أن ينظر إلى الأمام ..

وعض شفته السفلى بقوة بحيث إنغرزت أسنانه فيها ، وسال  
منها الدم دافئاً فوق ذقنه .. كان يعرف أن الشرطى سيصيح من  
جديد وإن كل شيء سوف ينتهى عندئذ ، ولن يبق عليه إلا أن يطلق  
المسدس للمرة الأخيرة .. وقال متوسلاً وهو لا يخاطب أحداً بالذات .

- أرجوك .. لاتدعه يلقي القبض على .

وإتسع الطريق أمامه وتشعب . وتألفت إحدى لوحات تحديد السرعة  
على اليمين .. وإمتد أفق أسود تحت سماء تنتشر بها النجوم ..  
الريف .. والطريق العام .. والسرعة .

لا تتجاوز مائة وخمسة عشر كيلو مترا .. قال يحدث نفسه بذلك ..  
إنهم لن يلقوا القبض عليك أن أنت إنطلقت بطريقة عادية كما يفعل



الجميع .. ولكنه لم يلبث أن أدرك أنه لن ينجو إلى الأبد .. أدرك ذلك عن يقين مريع .. إن الخطر قد تخطى عنه ، فإن ذلك الشرطى اللعين لن يلبث أن يفكر .. وأوشك أن يبكى وانتظر سماع صفارة البوليس .. وارتفع صوتها .. ضعيفاً فى بادئ الأمر .. ومن بعيد جداً .. خلفه فى جوف الليل ..

ولم يسمعها فى البداية لأنه كان يبكى .. ولكن عندما تنهى صوتها إلى أذنيه رفع رأسه فجأة ، وتشبثت عيناه اللتان يغشاهما الدموع بالمرآة العاكسة .. ولم يلبث أن رأى المصباحين الأماميين ثم المصباح الأحمر المعروف فوق سطح السيارة التى تتبعه من بعيد . داست قدم ايفانس على جهاز السرعة ، فارتفع المؤشر إلى مائة وعشرين ثم إلى مائة وثلاثين حيث راح يهتز إذا لم يكن فى مقدور السيارة الأسراع أكثر من ذلك .

وملأ دوى الصفارة أذنيه ، وأخذ يطن فى رأسه ، ولم يستطيع أن يبعد عينيه عن المصابيح الثلاثة التى تعكسها المرآة .. سوف يطلقون النار عليه حتماً .

وأطلق صرخة ، فإن الهزة التى أحس بها عندما إندفعت عجلات السيارة فوق المنحدر المعشوشب أرغمته أن يحول عينيه عن المرآة العاكسة أخيراً .. ولكن لم يكن فى مقدوره أن يفعل شيئاً عندئذ ، فإن مؤخرة السيارة إرتفعت فى الفضاء ثم هوت السيارة بمقدمتها على الأرض فتحطمت ، وإنقلبت فى حقل على جانب الطريق وطار أحد أبوابها فى الهواء . .

وعندما هدأ كل شئ ، كان جسد ايفانس يتدلى من إطار الباب . وكانت رأسه ملتوية ناحية الطريق .

وكان آخر شيء رآه قبل أن يموت هو السيارة التي هرب منها ،  
ورأى على سطحها عندما توقفت النور الأحمر ، وكان لا يزال متألقاً .  
كانت سيارة إسعاف .  
وسكنت الصفارة في نفس الوقت الذي لفظ فيه إيفانس روحه ،  
ولكنها لم تلبث أن دوت من جديد بعد أن نقلت الجثة إلى السيارة ،  
ووضعت بجوار الطفلة .. وكانت هذه الأخيرة لا تزال تتنفس عندما  
إستأنفت سيارة الإسعاف طريقها إلى المستشفى الكبير بالمدينة  
المجاورة ..



القاهرة الحديثة للطباعة  
أحمد بهس الدين الخربوطلي  
٣ شارع الجد بالفجالة  
تليفون ٩٣٤٣١٠





مجموعة هتشكوك  
ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

- مسرح العرائس
- الميت الحى
- السفاح
- ذو الوجهين
- المقبرة
- الإنتحار
- اليوم المشنوم
- الباقوتة
- رصاصة فى الظلام
- البسد المقطوعة

مكتبة  
معروف اخوان  
للطباعة والنشر

اسكندرية - ٤ ش سنط زخلول - ت : ٨١٠٨٢٨  
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس ت : ٧٤٣٦١١

السعر : ٢٠٠ قرش